الباب الثانى

الخصائص اللغوية لعربية مصر

تمهيد

سنحاول فى هذا الباب أن نقدم وصفا للغة العربية التى كانت بمصر فى الفترة موضوع الدراسة ، وأن نحدد العوامل التى تحكمت فى تشكيلها ، وتدخلت لتصبغها صبغة معينة تميزها عن سائر العربيات .

وقد وجدنا أن هناك عاملين يعدان من أهم العوامل التى تستحق الدراسة فى هذا الخصوص ، بقصد الكشف عن مدى أثرهما فى عربية مصر ، وهما :

١- اللغة القبطية (وإلى حد ما اليونانية) .

٢- اللهجات العربية .

كما وجدنا أن هناك عوامل ثانوية أثرت فى عربية مصر ، ومنها عامل الميل نحو السهولة وتوفير الجهد ، وعامل اللامبالاة ، وعامل الاقتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية ، مثل اللاتينية والفارسية والتركية . وسنتناول هذه العوامل فى ثلاثة فصول على التوالى .

وقد رأينا قبل أن نعالج هذه العوامل بالترتيب المذكور أن نبدأ بدراسة موجزة فى فصلين نتناول فى أولهما الصعوبات التى تعترض مثل هذه الدراسة اللغوية ، ونصنف فى ثانيهما المادة التى اعتمدنا عليها فى تحليلنا اللغوى .

وهكذا استقر إخراج هذا الباب فى خمسة فصول .

الفصل الأول

صعوبات على الطريق

الحقيقة التى يواجهها أى دارس للهجات العربية القديمة خارج الجزيرة العربية - ولحد ما داخلها - هى قلة المادة اللغوية من ناحية ، وانعدام الدراسة اللغوية المنهجية لها من ناحية أخرى . وهناك حقيقة أخرى تشمل اللهجات العربية القديمة جميعها ، وهى اختلاط مادتها بعضها ببعض ، وصعوبة عزل مادة أى واحدة منها عن غيرها ، وهى صعوبة قد تصل أحيانا إلى حد الاستحالة والتعذر . وحتى اللغويون المحليون ، الذين كان ينتظر منهم أن يسجلوا ما كان يدور فى بيئتهم من تعبيرات خاصة ، وأن يقوموا بدراسة موضوعية للمستويات اللغوية المستعملة فى أوطانهم ، سواء كانت على المستوى الأدبى ، أو مستوى الحديث العادى ، أو بين بين - حتى هؤلاء لم يلقوا بالا لهذا الجانب ، ولم يحاولوا أن يسهموا بمجهوداتهم فيه ، كذلك لم يعن أحد منهم بناحية التطور فى دلالة الألفاظ، أو نطقها ، فلم يبين أى من لغويى القرن الخامس مثلا المعنى الذى يفهمه معاصروه من لفظ جمعه زميل له فى القرن الثلاث مثلا إلا فى النادر . كذلك لم يعن أحد منهم بتطور نطق الألفاظ فى عصره على الرغم مما نجده فى كتاب سيبويه وفى البيان والتبيين للجاحظ من إشارات مفيدة فى هذا الموضوع ، ومن تسجيل لنماذج من التطورات التى تمس الأصوات وطريقة نطقها [1] . والسر فى

---

(١) انظر الكتاب (ط بولاق) ٤٠٤/٢ وما بعدها ، والبيان والتبيين ص ١٥ ، ١٨ - ٢٢ وبخاصة قوله: =

عدم العناية هذا أنهم جميعا كانوا ينظرون إلى هذا التطور على أنه نوع من اللحن أو المولد ، أو شيء من سقط المتاع الذى لاصح تسجيله ، ولايجوز إعارته أى انتباه . ولذلك نجدهم جميعا قد وجهوا كل اهتمامهم إلى جمع المادة اللغوية القديمة التى سموها بالفصحى ، والتى وضعوا لها شروطا ومواصفات تشمل الزمان والمكان ، وتسابقوا فى تنظيم هذه المادة ، وعرضها بطرق مختلفة .

ويبرز من بين المحاولات التى بذلت لتسجيل بعض جوانب التطور اللغوى نوعان من البحوث : أولهما : كتب اللحن والخطأ والمولد والتصحيف والتحريف . وثانيهما : كتب المعرب والدخيل . وكتب اللحن - وما لفّ لفّها - عبارة عن رسائل صغيرة ألفت على مر العصور وفى مختلف الأصقاع التى تتكلم العربية ، بقصد علاج داء استشرى فى لغة العرب ، وهو داء اللحن والخطأ فى الكلام . وقد بدأ التأليف فيه فى عصر مبكر جدا ، ربما منذ القرن الثانى الهجرى ، وشهدت بداية القرن الثالث طائفة كبيرة من كتب هذا النوع . ويدخل فى ذلك الباب تلك الفصول التى اشتملت عليها كتب مثل «إصلاح المنطق» لابن السكيت ، و «أدب الكاتب» لابن قتيبة ، و «الغريب المنصف» لأبى عبيد ، والتى تعالج مظاهر التغييرات التى

= «وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر» (ص ١٨) ، وكذلك باب «ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها» (ص ٣٤ وما بعدها) . وانظر ص ٧٠ - ٧٤ وبخاصة قوله «ألا ترى أن السندى إذا جلب كبيرا فإنه لايستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ، ولو أقام فى عليا تميم وفى سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما . وكذلك النبطى القح ... يجعل الزاى سينا ، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق ، ويجعل العين همزة ...» (ص ٧٠) ، ومقدمة ابن خلدون ص ٤٢٤ وما بعدها «فصل فى لغات أهل الأمصار» وص ٦٤٩ وما بعدها «فصل فى أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير» وكذلك الفصول التالية لهذا الفصل .

حدثت فى بعض الكلمات ، سواء من ناحية اللفظ أو من ناحية الدلالة . أما كتب المعرب والدخيل فمن أشهرها : كتاب الجواليقى ، ويدخل فيها البحوث المتناثرة التى نجدها فى كتب النحو واللغة .

ولكننا - مع الأسف - لانظفر لمصر بشىء ذى بال فى أى من هذين المجالين إبان فترتنا المبكرة . أما عن الجانب الأول فنحن نجد كتبا ألفت لتتبع أخطاء قطر بعينه أو شعب عربى بذاته ، ومن ذلك «لحن العامة» للزبيدى (ت٣٧٩ هـ) ، الذى تناول فيه لحن عامة الأندلس ، و «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» لابن خلف الصقلى (ت ٥٠١ هـ) فى لحن عامة صقلية ، و «تقويم اللسان» لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) فى لحن عامة بغداد . ومع ذلك لانجد كتابا يظهر فى البيئة المصرية يعالج بعض مظاهر التغيير الذى حدث فى لغة مصر سواء اعتبر هذا تطورا طبيعيا ، أو رمى بالخطأ . وحتى لو وجد شىء من هذا النوع ، فلم يكن ليفيدنا كثيرا ، لأن مؤلفى هذا العصر اعتادوا أن ينقلوا لاحقهم من سابقهم بدون تنبيه على ذلك . فما يتعرض له الواحد منه فى كتبه ربما لايمثل بيئته أدنى تمثيل، وإنما يمثل بيئات أخرى لم يهتم بالتنبيه عليها . وضرر مثل هذا النوع من البحوث المختلطة أكثر من نفعه . وأما عن الجانب الثانى فكان الاتجاه نحو دراسة النقل والتعريب من اللغة الفارسية هو الاتجاه الغالب ، ولا نجد إشارة إلى النقل أو التعريب من القبطية ، وبين أيدينا كتاب «المعرب» للجواليقى يشهد بذلك . نعم هناك إشارات سريعة إلى التعريب من لغات أخرى متعددة ، إلا أن معظم هذه الإشارات ألقى القول فيها على عواهنه ، وصدر من غير ذى ثقة ، وعن أناس لاخبرة لهم باللغات التى يتحدثون عنها ، ولذا لايمكن الاعتماد على أقوالهم كما سبق أن بينا بالنسبة للسيوطى فى كتابه «المتوكلى فيما ورد فى القرآن باللغة

الحبشية والفارسية ... إلخ» . كذلك من الأمثلة المؤسفة للعمل المرتجل ذلك البحث الذى كتبه حمزة فتح الله بعنوان «رسالة الكلمات الغير العربية (كذا) الواقعة فى القرآن الكريم» ، والذى تنقصه دقة البحث العلمى وتمحصيه . ومن الأمثلة التى ذكرها هذا المؤلف للكلمات المستعارة من اللغة القبطية قوله :

الأولى والآخرة : القبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى الآخرة .

سيدها : زوجها بالقبطية .

بطائنها : ظواهرها بالقبطية .

وهكذا ...

وقد حاولت أن أعثر على آثار ذات بال فى مؤلفات اللغويين المصريين المبكرين فى أى من هذين المجالين ، أو فى مجال تحديد مراكز القبائل العربية التى استوطنت مصر ، وتسجيل لهجاتها ، وخصائص كل لهجة ، دون جدوى . وكل ما وجدته تصريحات مقتضبة متناثرة هنا وهناك ، لاتكاد تهتدى إليها وسط زحام الأبحاث اللغوية الأخرى . فمن ذلك ما ذكره أبو جعفر النحاس وهو كل ماعثرت له عليه بعد البحث والتنقيب الشديدين – من أن :

١– المصريين يستعملون كلمة «إسباطة» (التى تحولت الآن إلى سباطة) بمعنى الكباسة أو العذق أو القنو [١] .

٢– المصريين يستعملون كلمة «الجسر» بدلا من المسناة [٢] .

ولكنه لم يذكر لنا فى أى المستويات الكلامية تستعمل هاتان الكلمتان ؟ وهل لهما أصل أجنبى أوْ لا ؟

---

(١) شرح معلقة امرىء القيس (تحقيق فرنكل ١٨٧٦) ص ٢٩ .

(٢) إعراب القرآن (معهد المخطوطات ١٥ تفسير) ص ١٨٠ .

٣- وروى القلقشندى عن أبى جعفر النحاس أنه قال فى كتابه «صناعة الكتاب» إن «الديوان» اسم للموضع الذى يجلس فيه الكتاب وإنه بكسر الدال وإن فتحها خطأ . وحيث لم يكن هناك دلالة صريحة على أن هذا الخطأ كان شائعا فى مصر ، فمن المحتمل أن يكون من الأخطاء العامة ، أو غير الخاصة بمصر ، وهو ما نرجحه بدليل ورود هذه الكلمة فى غيره من الكتب التى عالجت أخطاء العامة أو الخاصة .

٤- كذلك روى القلقشندى - عن نفس المصدر - أن الكتاب فى عصر النحاس كانوا - لصعوبة باب العدد عليهم - يعيبون من أعرب الحساب . ومعنى هذا كثرة الخطأ فى هذا الباب . وهى ظاهرة ملاحظة فى كثير من النصوص المصرية التى عثرنا عليها لذلك العصر . ولكن - مرة أخرى - هى ظاهرة عامة ، وليست خاصة بمصر .

ويبدو أنه كان فى عصر النحاس - وربما من قبله - حركة قوية بين المستعربين أو غير العرب ضد اللغة العربية ومن يتكلمونها أو يتعلمونها . ويبدو أن كثيرا من أناس ذلك العصر ضاقوا بقيود اللغة وقواعدها ، وعجزوا عن إتقانها وتذليل صعوباتها ، فرأوا أن مهاجمة اللغة أيسر من تعلمها ، والنيل منها أسهل من السيطرة عليها . وقد تكفل النحاس بنقل دعوى هؤلاء الشعوبية ، وانبرى للرد عليها وتفنيدها فقال : «وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمى العربية جهلا وتعديا حتى إنهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة قال : النحو أوله شغل وآخره بغى . قال : وهذا كلام لامعنى له لأن أول الفقه شغل ، وأول الحساب شغل ، وكذا أوائل العلوم . أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل ؟ قال : وأما قوله : وآخره بغى ، إن كان يريد به أن صاحب النحو إذا حذقه

صار فى زهو ، واستحقر من يلحن ، فهذا موجود فى غيره من العلوم من الفقه وغيره ، فى بعض الناس وإن كان مكروها . وإن كان يريد بالبغى التجاوز فيما لايحل فهذا كلام محال ، فإن النحو إنما هو العلم باللغة التى نزل بها القرآن ، وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم وكلام أهل الجنة وكلام أهل السماء .ثم قال بعد كلام طويل : وقد كان الكتاب فيما مضى أرغب الناس فى علم النحو ، وأكثرهم تعظيما للعلماء ، حتى دخل فيها من لايستحق هذا الاسم ، فصعب عليه باب العدد ، فعابوا من أعرب الحساب . وبعدت عليهم معرفة الهمزة التى ينضم وينفتح ما قبلها ، أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها فيكتبون (يقرؤه) بزيادة ألف لامعنى لها [1] ...» . والذى يهمنا من هذا ما يسجله من وجود ضيق بين المتعلمين بقواعد اللغة ، وصعوبة أبواب النحو ، وما يستتبعه ذلك من محاولات لكسر تلك القيود ، والتخفف من قسوتها . وهو ما حدث بالفعل وكان سببا من أهم الأسباب التى غيرت فى شكل اللغة .

وقد وجد لكراع (على بن الحسن الهنائى المصرى) إشارات خاطفة إلى بعض تعبيرات مصرية ، وإن كانت كلها عربية فصيحة ، أو عربية محرفة لا أثر للأجنبى فيها . ولكن لم يلتزم كراع أن يبين لنا فى أى مستوى كلامى كانت تشيع هذه العبارات ، ولم يوضح صراحة ما إذا كانت هذه من اللهجات المحلية أو اللغة المشتركة . ومن ذلك قوله :

١- ويقال للذى يوزن به الصنجة والعامة تقول السنجة .

٢- الخطاف العصفور الأسود الذى تدعوه العامة عصفور الجنة .

---

(١) انظر صبح الأعشى ١/١٧١ .

٣- يقال رف الحاجب اختلج .

٤- يقال فش القفل إذا فتحه بغير مفتاح .

٥- يقال فحم الصبى يفحم فحوما وفحاما إذا بكى حتى ينقطع صوته [١] .

وهناك صعوبة أخرى تواجه من يريد بيان الخصائص اللغوية لعربية مصر فى تلك الفترة السحيقة ، وهى أن كل المادة التى بين أيدينا وصلتنا عن طريق الكتابة . ومن المعروف أن الرموز المكتوبة لاتمثل إلا قدرا ضئيلا من اللغة . فهى تخفى أكثر مما تظهر وبخاصة حين تستعمل الرموز الكتابية العادية لا الرموز الصوتية الدقيقة بعض الشىء . ولم يشذ عن ذلك إلا بعض نصوص قليلة عثر عليها فى دير القديس مكاريوس حيث كتبت بحروف قبطية تمثل الصوت المنطوق إلى حد كبير [٢] .

وصعوبة أخرى هى عدم استطاعة القيام بمسح جغرافى لمناطق اللهجات فى مصر ، وفصل اللهجات الإقليمية بعضها عن بعض ، أو عمل ما يمكن أن يسمى بالأطلس اللغوى ، نظرا لاختلاط المادة اللغوية التى وصلتنا من ناحية ، واندثار معظمها من ناحية أخرى ، وعدم إمكان تسجيل مادة جديدة لطول العهد بفترة دراستنا ، والتطور الكبير الذى يتوقع حدوثه بعد ذلك . ولهذا لم يكن هناك

---

(١) انظر - على سبيل المثال - المنجد فى اللغة لكراع (مخطوط) صفحات ١٣٦ و ١٣٧ و ١٨٦ .

(٢) انظر

Fragments of an Arabic M. S. in Coptic Script, ed. by G Sobhy.

والملحق رقم ١ الجزء الأول من كتاب :

New Coptic Texts from the Monastery of Saint Macarius .

مفر من أن نعالج المادة اللغوية التى جمعناها باعتبارها وحدة واحدة ولا نشير إلى الخصائص المحلية أو الإقليمية إلا إذا كان فى يدنا الدليل على ذلك .

وهناك صعوبة أخيرة هى أن الدراسات القديمة جميعها قد ألقت ثقلها فى جانب اللفظ المفرد وبناء الكلمة ، ولم يكن منها ما اهتم بنظام الجملة وجانب النحو والإعراب ولذلك يندر أن تجد إشارة إلى تغيير من هذا النوع .

الفصل الثانى

مادة التحليل اللغوى

تتخذ مادة البحث التى اعتمدنا عليها فى دراستنا اللغوية صورا متعددة ، كما أن تاريخها محدد ، ومعروف وقتها الذى كتبت فيه بدقة .

وعلى الرغم من أننا اخترنا القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادي) كقرن التحول النهائى فى لغة الكتابة والحديث من اليونانية والقبطية إلى العربية ، فقد رأينا أن ندخل فى التحليل اللغوى كتابات القرنين الثانى عشر والثالث عشر كذلك لعدة أسباب ، منها :

أولا : امتداد الفترة الخصبة فى كتابات الأقباط العربية إلى نهاية هذين القرنين .

وثانيا : لأن معظم المخطوطات وأوراق البردى العربية التى كشفت حديثا تتعلق بفترة تمتد نحو سبعة قرون بعد الفتح العربى لمصر .

وثالثا : لأننا رجحنا احتمال بقاء اللغة القبطية فى بعض الأماكن النائية لمدة قرن أو قرنين آخرين ، ولمدة أطول فى داخل الأديرة وبين الرهبان ، أو كلغة متعلمة بين العلماء الأقباط . ومعنى هذا أن اللغة القبطية ظلت خلال هذه الفترة أداة فى يد بعض الناس لدرجة محدودة وإن لم يحرمها ذلك الحياة فى عقول كثير من الباحثين والمثقفين من رجال الدين الأقباط . ومن الملاحظ أن معظم كتابات

الأقباط العربية فى تلك الفترة ، قام بها رجال الدين أو العلماء المتعصبون الفتهم وقوميتهم القديمة ، ممن كانوا يعرفون القبطية إلى جانب العربية . ومعنى هذا أنهم كانوا فى كتاباتهم العربية متأثرين بثقافتهم القبطية ، وبمعرفتهم للغة القبطية وغيرها من اللغات الأجنبية ، كاليونانية والسريانية .

ومن أجل هذا لايصح إسقاط القرنين الثانى عشر والثالث عشر من حسابنا إذا أردنا أن ندرس آثار اللغة القبطية على عربية مصر ، وأن نؤرخ لحركة التأثير والتأثر من كلا الجانبين على الآخر .

ولكى ندرس عربية مصر فى تلك الفترة ، نحن فى حاجة إلى نماذج عديدة تمثل المستويات المختلفة للغة . فما لاشك فيه أن لغة الكتابة تختلف عن لغة الحديث ، ولغة الكتابة نفسها تتفاوت من كاتب إلى كاتب ، وكذلك لغة الحديث تختلف من متكلم إلى متكلم . ولو جارينا علماء اللغة المحدثين لقلنا إن لكل شخص لغة خاصة ، ولكل متكلم لهجة معينة ، ولهذا فهم لايرضون فى تقسيمهم لمستويات اللغة بمستوى دون المتكلم الفرد نفسه . بل منهم من يذهب إلى أبعد من ذلك فيقسم العادة الكلامية للشخص إلى مستويات متعددة تختلف بحسب حالة المتكلم الراهنة ، ودوره الذى يلعبه فى المجتمع . ومن السهل على المرء أن يميز فى كلام الشخص الواحد بين عدة مستويات ، حين يتكلم مع أسرة صديقه ، أو مع غرباء، أو مع أفراد ذوى مراكز اجتماعية مختلفة ، أو فى مجال العمل ... إلخ .

ولصعوبة هذا النوع من الدراسة أو استحالته بالنسبة للفترة التى ندرسها، فضلا عما يؤدى إليه من نتائج جزئية خاصة ، فإننا آثرنا أن نتجه فى مجال دراستنا إلى الخصائص العامة ، وأن تكون نظرتنا دائما كلية تصور ما يمكن أن يسمى باللغة أو اللهجة فى خطوطها العريضة وظواهرها المشتركة .

والمادة المكتوبة التى اعتمدنا عليها فى تلك الدراسة كثيرة ومتنوعة وتشمل ما يأتى :

أولا : أوراق البردى العربية : وكان أول ما عثر عليه من هذه الأوراق ورقتان مكتوبتان باللغة العربية فى مكان قرب أهرام سقارة وذلك عام ١٨٢٤ م . وقد سلمت الورقتان إلى قنصل فرنسا بالقاهرة يومئذ فاهتم بها وأرسلها للبارون سلفستر دى ساسى المستشرق المتخصص فنشر ما بالورقتين . وبذا بدأت دراسات أوراق البردى ترى النور ، وأخذ هذا النوع من البحوث يتطور منذ أوائل القرن العشرين حتى أصبح علما مستقلا له متخصصوه والمشتغلون به .

وبعد مضى خمسين سنة من الكشف السابق ، وجد بالفيوم كمية كبيرة من أوراق البردى نقل معظمها إلى المكتبات الأوربية ، ومن المحتمل أن تكون محفوظات دار الكتب المصرية من هذه البرديات متصلا بهذا الكشف ، أو تكون جزءا منه . ثم اكتشفت بعد ذلك مجموعات أخرى وجدها الباحثون عن «السباخ» بين تلال أهناس وإخميم والأشمونين والبهنسا وكوم أشقاو وميت رهينة وإدفو ... ومنها ماعثر عليه فى خرائب الفسطاط .

ومن الصعب أن نحدد عدد الأوراق البردية العربية الموجودة فى مكتبات العالم الآن نظرا لعدم تمام الفهارس . ولكن يقدرها البروفسر جروهمان خبير البرديات العربية بنحو ستة عشر ألف قطعة موزعة على مكتبات كثيرة من دول العالم مثل فينا ومصر وتونس وألمانيا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا والنرويج وروسيا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية .

ويقول البروفسر جروهمان إن أوراق البردى العربية ذات الصبغة الأدبية قليلة بالنسبة لمقابلتها فى البرديات اليونانية [١] . وتوافقه السيدة نابية أبوت فى هذا الرأى إذ تقول : إن «وثائق البردى التى اكتشفت ونشرت معظمها يتعلق بالإدارة والاقتصاد . أما أوراق البردى الأدبية فنادرة جدا ، وهى عبارة عن شذرات متفرقة . وقد بذلت جهود قليلة جدا لدراستها حتى الآن [٢] » . ومما عثر عليه فى مجال الأدب ورقة من ديوان شعر ، وأبيات متناثرة ، وأحيانا قصائد كاملة . كذلك عثر على قطع من كتاب فى النحو وهى محفوظة فى مجموعة مكتبة شيكاغو [٣] .

وكثير من الوثائق التى عثر عليها وجد متلاصقا متماسكا إلى حد يقرب من التحجر ، إلى جانب ما وصل متمزقا كله أو بعضه بفعل الأرضة أو الرطوبة . ولكن إلى جانب هذا توجد – لحسن الحظ – قطع سليمة يمكن قراءتها بسهولة .

وتغطى هذه الوثائق فترة تزيد على سبعة قرون من عام ٢٢ الهجرة إلى عام ٧٨٠ هـ . وإذا كان لهذه الوثائق قيمة خاصة بالنسبة للمؤرخ ودارس الحضارة الإسلامية فهى من الأهمية بمكان كذلك لدارس اللغة ، وهى ثروة نفيسة من المادة اللغوية قلما يجود التاريخ بمثلها . ويمكن بدراسة هذه الوثائق الوصول إلى نتائج لغوية وفلولوجية هامة سواء من ناحية أسلوب الكتابة الكلاسيكية فى تلك الفترة ، أو فى أسلوب الكتابة الإدارية أو الرسائل الخاصة ، أو الأسلوب العامى [٤] .

---

(١) انظر جروهمان ص ٥ من كتابه : From the World of Arabic Papyri

(٢) انظر نابية أبوت فى مقدمة كتابها : Studies in Arabic Literary Papyri

(٣) جروهمان : المرجع قبل السابق ص ٥ – ١٠ .

(٤) انظر جروهمان : المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ، كذلك مراد كامل «حضارة مصر فى العصر القبطى» ص ٧٠ .

ويكفى للتدليل على قيمة هذه الوثائق أنها نقضت ما هو شائع بين الباحثين من أن اختراع الإعجام تم على يد يحيي بن يعمر فى النصف الثانى من القرن الأول ، فقد وجدت أقدم وثيقة بردى عربية وهى مؤرخة عام ٢٢ هـ وهى تشتمل على نقط فوق الحروف : ش ، ز ، ذ ، خ ، ن .

وأهم الوثائق العربية التى رجعنا إليها تلك التى نشرها Adolf Grohmann تحت عنوان :

1- Arabic papyri in the Egyptian Library .

2- From the world of Arabic papyri .

والتى نشرتها Nabia Abbott تحت عنوان :

1- The Kurrah Papyri .

2- Studies in Arabic Literary Papyri .

وإلى جانب هذا وذاك توجد مجموعة من النصوص القبطية عثر عليها فى دير البلاعزة حققها الدكتور Kahle ، وهى تغطى فترة محدودة جدا نحو مائة سنة من ٦٧٥ إلى ٧٧٥ م . وهذه الوثائق وإن كانت قد كتب معظمها بالقبطية ففيها نسبة نحو ٦٪ كتبت باللغة العربية .

وإليكم نماذج من هذه البرديات راعينا فيها التنوع لتشمل أكثر من مستوى كلامى :

١- بسم الله الرحمن الرحيم ، من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فانظر الذى كان بقى على أسقف كورتك مما فرض عليه عبدالله بن عبدالملك ... فجعل به مع رسولى ورسول الأسقف. ولا توخرن من تلك البقية قليلا ولا كثيرا والسلم على من اتبع الهدى .

وكتب فى ربيع الأول سنة ٩٠ .

٢- بسم الله الرحمن الرحيم . من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . فإن إبشادة بن أبنيلة قد أخبرنى أن له على أنباط (فلاحين) من أهل كورتك (خمسة) عشر دينارا ، فزعم أنهم غلبوه على حقه . فإذا جاك كتابى هذا ، وأقام البينة على ما أخبرنى فاستخرج له ، ولا تظلمن عبدك إلا إن كانت بينته غير ذلك فاكتب لى . والسلم على من اتبع الهدى .

وكتب مسلم بن لبنن ونسخ الصلت :

فى صفر سنة إحدى وتسعين .

٣- من قرة بن شريك إلى بطرس جرجه القسطال (حاكم المدينة) . قد قبضت منك المال الذى من مدينة «أهناس» عما بَقَالك من الغرامة مما أدرك عليك من الجباية ... إلخ .

٤- من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنك قد علمت الذى كتبت إليك به من جمع المال الذى قد حضر من عطا الجند وعيالهم وغزو الناس . فإذا جاك كتابى هذا فخذ فى جمع المال ... ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالأول فالأول ، ولا أعرفنك ما حبستنا بما قبلك ، فإن أهل الأرض قد فرغوا من الحرثة وعلموا ما عليهم ... فعجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم إلى المال قد أمرت للجند بعطائهم إن شاء الله . فلا تكونن آخر العمال بعثا بما قبلك ، ولاألومنك فى ذلك والسلم على من اتبع الهدى .

٥- بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من قرة بن شريك لأهل شبرا بسيرو من كورة أشقوه ، إنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمانين مائة دينار وأربعة

دنانير وثلثي (كذا) دينار عددا ، ومن ضريبة الطعام أحد عشر أردب قمح وثلث إردب .

وكتب راشد في صفر سنة ٩١ .

٦-وهذا خطاب مؤرخ عام ٢٤١ هـ يتحدث عن هجوم الأسطول البيزنطى على دمياط :

يابا حفص ، لو رأيت الناس فيه عندنا اليوم من التخليط والسخرة . يوخذ النواتية وغير النواتية . وكلمن قدروا عليه أخذوه . يدخلوا كل يوم جماعة من كل موضع . أسأل الله الفرج من عند رحمته . والأمير - أيده الله - قد خرج إلى المحلة ودمياط وهو أول يوم من مسرى ، وأخرج معه جماعة من الجند . وذلك أنه ورد عليه كتاب من أمير المؤمنين - أعزه الله - يشدد عليه أن يربح . عندى رسم كتاب لا أقدر أن أكتب به إليك .... إلخ .

٧- وهذه وثيقة من القرن الثالث الهجرى عن تسليم بضائع ودفع نقود :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظكم الله وأبقاكم وأمتع بكم وأتم نعمه عليكم ودع السو عنكم وعنا وعن جميع أمة محمد إنه على ذالك قادر برحمته . قد بعثت إليكم مع ميمون المكارى بصرّة فيها اثنين وأربعين دينر شهرية لى . وفيها دينرين لحمد بن حبة . ومعها فى الصرة صرة لسلمن بن داود ... فانظروا إذا وصلت إليكم أن تثبتو إلينا بوصلها إليكم إن شاء الله . وانظرو أن تشترو لى منديلين شقاق مختص ومنديلين رياط مختص . وأنا باعث بتمام خمس مناديل حتا يكفى ثلثة رياط ومنديلين شقاق جياد . فإن الشقاق الذى بعثت به وحيش جدا . فعليك بالجيد فإن الجيد كويس ... انظر حفظك الله يابا على ألا تشترى إلا الجيد من

الشقاق فقد نفر الناس من الوحيش . وقد كتبت إليك غير كتاب ببعث إلى بالقلة الحائج فلم تفعل فيخفى على إلا ما عجلتها . واشترى لى أربعة قلال صغار للجارية تستقى بهم الماء فإنى أحتاج إليهم وتسرنى بذالك ...

٨- وهذه وثيقة كتبت فى القرن الرابع الهجرى :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك يا شيخى وسيدى ... وغمنى ماذكرته من الأحوال الذى شرحتها لى مما ذكرت من الخراب الذى نزل بناحيتك عمرها الله ببقايك ... لقد كنت على قلق عظيم وارتجاف شديد لحبس كتابك عنى وبطؤ خبرك على حتى ... ورد بعد ذلك كتابك فزال جميع همى ... وذكرت يا سيدى أيدك الله أمر القمح وشدة حاجتك إليه وأن أتسلف لك من عند عطا أو جبارة أو غيرهم منمن أعلم أن عندهم شيا . فوالله العظيم شانه القوى سلطانه لقد عظم على مكاتبتك لهم تسئلهم مثل هذا المقدار حيث لم يكون عندى أنا شى أغنيك به عن سوالهم ... وبالله العظيم لقد أحضرت عطا وجبارة وحسين وأولاد عتيق عبدالرحمن وأخوه وأخرجت لهم الدنانير وسألتهم أن يبيعونى لك المقدار الذى ذكرته بأى سعر أحبوه فبالله إنكان واحد منهم قر لى بمد واحد فضلا عما سواه. وقاموا وبقيت الدنانير بين يدى . ووكلاك حضر مثل هذا ... فكيف تسمح نفوسهم يسلفوا شى وياخذوه وقت الغلة ...

٩- وهناك إلى جانب ذلك مخطوطة فريدة من نوعها نشرها الدكتور جورجى صبحى تحت عنوان :

New Texts from the Monastery of Saint Macarius.

وتقع فى ٣٣ ورقة كاملة و ٦ ورقات ممزقة وورقة صغيرة ، وترجع إلى أواخر القرن الثالث عشر أو القرن الرابع عشر . وأهم ما يميز هذه المخطوطة أن

لغتها عربية مكتوبة بحروف قبطية ، وممثلة فيها أصوات العلة إلى جانب الأصوات الساكنة . وترينا هذه المخطوطة - إلى حد كبير - كيف كانت تنطق عربية مصر فى وقت كتابتها . ولغتها مزيج من العامية والفصيحة . وإليكم اقتباسا من هذه المخطوطة .

احفظ نفسك أن لايسبى عقلك فى ذكر خطاياك القديمة . بل اذكرها واندم عليها لئلا يذهب منك الاتضاع . فإن ذلك ينقيك من الخطية . لاتكن مناقض تحب تقيم كلمتك لئلا يسكن فيك الشر . لاتجعل نفسك حكيم برأى نفسك لئلا تقع فى أيدى أعداك . عود لسانك يقول اغفر لى والاتضاع يأتيك . إذا جلست فى قلايتك (بيت خلوتك) فاهتم بهذه الثلاثة خصال ، دائما أبدا : عمل يديك ودرس مزاميرك وصلاتك . اجعل فى نفسك وذكرك أن ليس بقالك فى الدنيا .

ثانيا : كتب ألفها علماء متخصصون فى الدراسات اللغوية أو الأدبية ، ويمثل أسلوبها المستوى الرفيع فى الكتابة فى ذلك العصر . وقد اخترنا منها ما يأتى :

١- «المكافأة» لأحمد بن يوسف المعروف بابن الداية (ت نحو سنة ٣٤٠ هـ) الذى هاجر أبوه من بغداد إلى مصر وأصبح من جلة الكتاب بها .

٢- «أخبار سيبويه المصرى» لابن زولاق الليثى المصرى (ت سنة ٣٨٦ هـ) .

٣- «الرسالة» للإمام الشافعى . ومن المعروف أن الشافعى دخل مصر سنة ١٩٩هـ ومات ودفن بها سنة ٢٠٤ هـ ، وقد ألف كتابه هذا بمصر . وقد وصف محقق الكتاب المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر أسلوب الشافعى فقال : «لغته حجة لفصاحته وعلمه بالعربية ... وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت غاية فى الدقة والصحة . فما وجدناه مما شذ عن القواعد

المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الخطأ ، بل جعلناه شاهدا لما استعمل فيه» .

٤- مؤلفات علماء اللغة المصريين الثلاثة الذى اشتهروا فى مصر خلال القرن الرابع الهجرى وهم : كراع (ت سنة ٣١٠ هـ) ، وابن ولاد (ت سنة ٣٣٢هـ)، وأبو جعفر النحاس (ت سنة ٣٣٨هـ) . وإليكم نصوصا مختارة من هذه الكتب :

١- من «المكافأة» لابن الداية :

وحدثتنى أم آسية قابلة أولاد خمارويه بن طولون ... أنه تزوجها وأختها أخوان ، فأقبلت حال زوج أختها ، وأدبرت حال زوجها . قالت : وتوفى زوجها بأسوأ حالة وخلف لها بنات .. قالت فكنت أجاهد فى مؤونة ولدى . إذا وقف أمرى صرت إلى أختى فقلت أقرضينى كذا وكذا استحياء من أن أقول لها هبى لى . ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهوا على صبيانى حلوى فى العيد . فصرت إلى أختى فقلت لها : أقرضينى دينارا أعمل به للصبيان حلوى فى العيد . فقالت يا أختى تغيظينى بقولك أقرضينى ، وإذا أقرضتك من أين تعطينى . أمن غلة دورك، أو بستانك ؟ لو قلت هبى لى كان أحسن . فقلت لها أقضيك من لطف الله تعالى الذى لايحتسب ، وجوده الذى يأتى من حيث لايرتقب . فتضاحكت وقالت : يا أختى هذا والله من المنى ، والمنى بضائع النوكى . فانصرفت عنها أجر رجلى إلى منزلى .

٢- من «أخبار سيبويه المصرى» لابن زولاق :

وسمعت سيبويه يقول وقد جرى ذكر ابن المدبر عامل خراج مصر فقال : لقد بلغنى عنه أنه كان سائرا فى جمعه وعديده ، ورجاله وجنوده ، حتى وقفت له

امرأة معها أطفال فقالت له : هؤلاء أطفال فلان وقد طال حبسه وهو فقير . فالتفت إليها بفظاظة وغلظة وقال : لايخرج من الحبس إلا بأداء ما عليه ... فأنكر كل من حوله الكلام فى أنفسهم . فلم تمض جمعة حتى قبض عليه أحمد بن طولون وسلمه إلى محمد بن هلال عامل خراجه وقال : قيده وغله وألبسه جبة صوف منقعة فى دهن الأكارع مختومة ، وأوقفه فى الشمس على مزبلة على باب دارك . ففعل به ابن هلال ذلك .

٣- من «المقصور والممدود» لابن ولاد :

فأما المقصور الذى يسمى منقوصا فهو ما كانت ألفه التى فى آخره مبدلة من ياء أو واو وانفتح ما قبلهما ، وكانت فى موضع حركة فأبدل منها ألف نحو ملهى ، ألفه مبدلة من واو لأنه من اللهو ، ومرمى ألفه مبدلة من الياء لأنه من الرمى . والأصل فيها ملهو ومرمى ، فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلهما أبدل منهما ألف . وكذلك عصا ورحى ... وإنما سموا عصا ورحى وماشاكل ذلك منقوصا ... من أجل أن الألف أبدلت مكان الياء والواو ... فلم يدخلها رفع ولا نصب ولا جر ... فهذا وجه نقصانها .

٤- من كتاب «المنجد» لكراع :

قال أبو الحسن على بن الحسن الهنائى : هذا كتاب ألفته فيما اجتمعت عليه الخاصة والعامة من الألفاظ التى عمت مرائيها وخصت معانيها ، وجعلته ستة أبواب :

الباب الأول منها فى ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .

الباب الثانى فى ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام.

الباب الثالث فى ذكر الطير الصوائد منها والبغاث وغير ذلك .

الباب الرابع فى ذكر السلاح وما قاربه .

الباب الخامس فى ذكر السماء وما يليها .

الباب السادس فى ذكر الأرض وما عليها . وفى هذا الباب ٢٨ فصلا على عدد حروف الهجاء من الألف إلى الياء . وأثبت فى كل باب منها ما قصدت له من الحروف المتشابهة بأجناسها وما سنح من الشواهد عليها مما يكون فيه الدلالة دون الإكثار والإطالة . وبالله التوفيق والتسديد ومنه العون والتأييد .

ثالثا : كتب ألفها علماء أقباط ظلوا محتفظين بدينهم ، وتعلموا اللغة العربية لسبب أو لآخر وأتقنوها ، ولكن ظلت كتاباتهم تعكس خصائص معينة وتبدو عليها المسحة الأجنبية . وقد اخترنا من بين هؤلاء العلماء :

١- سويرس بن المقفع (القرن ٤ هـ) فى كتابه : «سير الآباء البطاركة» .

٢- سعيد بن بطريق (القرن ٤ هـ) فى كتابيه : «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» و«البرهان» .

٣- الشيخ أبو صالح الأرمنى الذى هاجر إلى مصر واستوطن بها (القرن ٦ هـ) وله كتاب مشهور فى التاريخ .

٤- مجموعة من العلماء الأقباط وجدوا فى القرنين ٦ و ٧ هـ وتركوا مؤلفات باللغة العربية معظمها يتناول النحو القبطى والتعاليم المسيحية . وعلى رأسهم :

(أ) أولاد العسال . وأصلهم من بلدة سدمنت من صعيد مصر من عائلة رجل اسمه أبو البشر يوحنا الكاتب المصرى . وقد شغل بعض أولاد العسال مناصب كبيرة فى الحكومة ، وألفوا كتبا فى الديانة المسيحية باللغة

العربية ، وترجموا بعض الكتب الدينية من اللغة القبطية إلى اللغة العربية، وألفوا بعض الكتب فى الغرض المتقدم . ويبدو من كتبهم أنهم أخذوا بحظ وافر من الثقافة الإسلامية . واشتهر بينهم الصفى بن العسال وله مجموع يسمى «المجموع الصفوي» ، وهو كتاب ضخم ألف فى فقه المذهب الأرثوذكسى ، وقد رجعنا إليه . وللأسعد ابن العسال أرجوزة فى المواريث جاء فيها :

الشكر لله الوحيد الذات ... سبحانه مثلث الصفات
أحمده حمدا كما هو أهله ... إذ فاض بحر جوده وفضله
أزيد فى التمجيد والتسبيح ... لابن الإله السيد المسيح

ومنها :

يأيها الطالب علم الشرع ... فى الإرث خذ مختصرا من فرع
اسمع هديت أفضل السبيل ... جملته نظما بلا تفصيل
ابدأ بما يصلح للأكفان ... والقبر والحمال والقربان
أوف الديون قبل أن تقسما ... فالشرع قد صيره مقدما

ولأبى الفضل بن العسال معجم سماه «السلم المقفى والذهب المصفى» ، وهو معجم قبطى عربى رجعنا إليه . وللمؤتمن بن العسال كتاب فى نحو اللغة القبطية سماه «المقدمة» رجعنا إليه .

(ب) أنبا يؤانس (يوحنا) أسقف سمنود المشهور باسم السمنودى ، وله مقدمة أجرومية وسلم (مجموع كلمات) . وقد رجعت إلى مقدمته فى نحو اللغة القبطية .

(جـ) الوجيه القليوبى الذى ألف كتابا أسماه «الكفاية فى نحو اللغة القبطية» ، وقد رجعت إليه .

(د) الشيخ الرئيس ابن كاتب قيصر الذى ألف كتابا فى نحو اللغة القبطية سماه «التبصرة» ، وقد رجعت إليه .

(هـ) ابن الدهيرى الذى ألف «مقدمة فى نحو اللغة القبطية» رجعت إليها .

(و) ابن كبر شمس الرياسة أو البركات الذى ألف «السلم الكبير» وهو فى تفسير كلمات قبطية بالعربية ، مرتبة على المعانى وهى على أبواب . وقد رجعت إليه كذلك . وله إلى جانب ذلك مجموعة من الخطب الدينية . ويبدو من مؤلفاته أنه واسع الاطلاع على التاريخ والأدب العربى وعلوم اللغة العربية .

والظاهرة التى تلفت النظر فى مؤلفات هؤلاء أن معظمهم لم يكن متمكنا من اللغة العربية ، وكان أسلوبه ركيكا أو أشبه بالأسلوب الدارج منه بأسلوب الكتابة ، وإن تفاوتوا فى ذلك بشكل ملحوظ . ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا القليلون جدا الذين يصعب تمييز كتاباتهم من كتابات العرب أو المسلمين .

ولكثرة ما ظهر من إنتاج فى هذه الفترة سمى بعضهم القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين (٦ و ٧ هـ) بالعصر الذهبى لآثار الأقباط الفكرية .

وإليكم نماذج مختلفة لكتابات هذه المجموعة :

١- من «المجموع الصفوى» لابن العسال :

باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد ، له المجد دائما إلى الأبد . آمين. المجد لله الذى شرفنا بأفضل الايمان والأعمال ، وثقف أفعالنا الظاهرة والباطنة بشريعتى المبدأ والكمال . وبعد : فإن هذا الكتاب مجموع من الكتب الإلهية ، والقوانين البيعية ، ومما فرعه العقل عليها ، ورده القياس إليها ، جمعا

يخلو مع الاختصار من الإخلال ، ويجمع بين فائدتى التفصيل والإجمال . أعتضد فيه بمجموعات جمعت ببصيرة وتوفيق واجتهاد ، وأنتخب من موضوعات وضعها من له فى التصنيف خبرة وتحقيق واعتياد .

٢- من «سير الآباء البطاركة» لابن المقفع :

فشال الدبوس ليضرب أبى على رأسه فقدم رأسه إليه . فلما أراد أن يضربه صاحوا عليه جماعة من أصحابه المستخدمين ، ولم يدعوه يضربه . وكان جميع العسكر يقولوا بلسانه حقا إن هذا الأسقف نعم الخادم لربه . ثم جاء رسول أبى قائلا ادخلوا بجميعهم فقد استدعاهم الملك ، فدخلنا جميعا فكان مروان جالس على شاطىء البحر ... فأمر أن يجعلونا على يساره فى ناحية مفردة، وأمر أيضا بإحضارنا وتسليمنا إلى قوما آخرين غير الذين جابونا من الإسكندرية .. فلما حميت الشمس أعد لنا ذلك الأمير آلة العذاب ... وحمل على كل مركب ثمانين رجل ... وكانوا الخراسانيين قد جابوا مراكب عدة إلى مصر ، فلما جاءت عشرة ساعات من ذلك اليوم تقدم إلى يزيد الذى نحن عنده ... إلخ .

٣- من «تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى» :

ورجع طلع إلى الأب البطرك .. فقال له البطرك إيش رجع جانبك إلى عندى يامحروم بهذا الزى المغير عن صنعتنا ، ومد يده إلى رأسه وطرح البرطلة ... وإن أحد تلاميذ البطرك أعاد البرطلة على رأسه فصعب ذلك على البطرك ... وقام من عنده وخرج مخزى لايعرف كيف يمشى ... ثم إن بطرك الملكية شيعه دير القصير وأقام به هو وأصحابه .... إلخ .

٤- من «مقدمة فى نحو اللغة القبطية» لابن الدهيرى :

المجد لله العظيم العلى ، القديم الأزلى ، ذى الطول المتين ، والفضل المبين ، الذى أصفى موارد حكمه ، وأضفى ملابس نعمه ، للعاملين والعالمين ، وأسدل جلابيب كرمه ، وأسبل شآبيب ديمه . على العاكفين العارفين ، وأنار بصائر أولى الهداية بنور الحقيقة ، وعلم اليقين ، وعم فضله ، وخص فيضه للعاملين والمرسلين ، وقسم المواهب بين برایاه ، على قدر استعداد القابلين والقائلين ، وميز الإنسان بالعقل والنطق عن بقية الحيوانات غير الناطقين . .

٥- من «مقدمة فى نحو اللغة القبطية» للسمنودى :

كان لما كانوا آباء فضلاء لأجل عدم تفسير اللسان القبطى قد تقدموا وعملوا سلما للتفسير ، وجمعوا فيه جميع الكلام من الأسماء والأفعال ، وقصدوا بذلك كمال معرفة التفسير ، وإن بعض الناس لما استكثروا مقدار جملة الكتاب وأنه لايحصل لهم قصد فى جزء منه دون حفظ جميعه فلذلك ملوا وكسلوا قضى الحال إلى أن أعمل تفسير كلام كتب البيعة أعنى الحديثة وهم الأناجيل المقدسة ورسائل بولص الرسول ... وما انضاف إليهم مساقا على فصوله أولا فأولا ... وجعل إنجيل يوحنا فاتحته لأحل سهولة كلامه ليسهل للطالب القصد بذلك .

رابعا : متفرقات ونماذج نثرية شعرية متناثرة فى كتب الأدب والتاريخ واللغة :

أذكر من بينها «صبح الأعشى» للقلقشندى ، و«الولاة والقضاة» للكندى ، و «النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى ، ومن أمثلة ذلك :

١- كتب ابن عبدكان على لسان أحمد بن طولون إلى ابنه العباس :

من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه ، العاصى لربه ، الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ، العادى لطوره ، الجاهل لقدره ، الناكص على عقبه .. سلام على كل منيب مستجيب ، تائب من قريب ... أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تثير المدية بقرنيها ، والنحلة يكون حتفها فى جناحيها . وستعلم - هبلتك الهوابل - أيها الأحمق الجاهل الذى ثنى على الغىّ عطفه ... أى مورد هلكة سلكت .

٢- من الشعر الذى قيل فى قضية القاضى العمرى :

قال طاهر القيسى :

ولقد قمعت بنى الخبائث عندما ... راموا العلا وتحوتكوا وتعربوا

فرددتهم قبطا إلى آبائهم ... ونَسيت أصلهم الذى قد غيبوا

وقال المعلى الطائى يهجو القاضى العمرى :

كم كم تطول فى قراتك ... والجور يضحك من صلاتك

تقضى نهارك بالهوى ... وتبيت بين مغنياتك

فاشرب على صرف الزما ... ن بما ارتشيت من الحواتك

إن كنت قد ألحقتهم ... عربا فزوجهم بناتك

الفصل الثالث

المؤثر الأول : اللغة القبطية

إن حياة أى لغة بمعزل عن التأثيرات الخارجية شىء خيالى ربما لم يتحقق لأى لغة على مدى تاريخها الطويل . ومهما فرض من قيود ووضع من سدود حول اللغة ومتكلميها فإن الاحتكاك بالعالم الخارجى لابد أن يحدث ، والتبادل اللغوى لامفر من أى يتم .

وحين يحدث – لسبب أو لآخر – أن تلتقى لغتان أو أكثر فى مكان واحد ، لايمكن أن يتصور وقوف كل منهما بمعزل عن الأخرى تقول لامساس ، وإنما الذى يحدث أن يبدأ الاحتكاك بينهما ، وأن يتبادلا التأثير والتأثر . وبعد فترة تطول أو تقصر قد تتمكن إحداهما من القضاء على الأخرى والحلول محلها ، وقد لايحدث هذا وتظل اللغتان جنبا إلى جنب تتعرض كل منهما لسهام الأخرى دون أن تقضى عليها .

ولا يعنى انتصار لغة وانهزام أخرى أن اللغة المنهزمة تموت وتتلاشى من الوجود نهائيا ، فهى ربما تختفى كلغة متكلمة عامة وتظل مستعملة فى مجالات ضيقة ، وبين عدد محدود من الناس لمدة طالت أو قصرت . كما لايعنى انهزام لغة أنها تموت موتا كاملا فهى تظل حية حياة جزئية فى شكل بقايا وآثار تختلط باللغة المنتصرة ، وتصبح جزءا لايتجزأ منها . وقد حدث هذا – على سبيل المثال – مع

اللغة العربية حين رحلت إلى بلاد الفرس وقام الصراع بينها وبين الفارسية ، فقد خرجت العربية منتصرة فى هذا الصراع ، ومع ذلك فقد أصابها قدر كبير من التغيير الذى يميز عربية ما وراء نهرى دجلة والفرات من سائر العربيات . وحدث هذا أيضا مع اللغة العربية حين وفدت إلى مصر مع العرب ، واختلطت باللغات المحلية التى كان أهمها القبطية ثم اليونانية . فحين استوت اللغة العربية على سوقها ، وقهرت أولا اللغة الرسمية والثقافية وهى اليونانية ، ثم اللغة الوطنية وهى القبطية ، تحملت آثارا من كل منهما ، وظهرت عليها ملامح من كلتا اللغتين . ويبدو أن التأثير اليونانى على عربية مصر كان محدودا ، إذ لم يتعد إقراضها بعد المفردات ، وبخاصة فى مجال المصطلحات العلمية ولغة الدواوين ، لأنها لم تكن لغة متكلمة بقدر ما كانت لغة مكتوبة ، ولم تشع على ألسنة العامة شيوع اللغة القبطية . ومعظم الصراع اللغوى يتم بين لغتين حيتين متحركتين تريد كل منهما السيطرة على لغة الحياة العامة ، واحتكار ميدان الحديث والتخاطب العادى . وفضلا عن ذلك فإنه من المستحيل - بالنسبة لكثير من الكلمات - القطع بأن الاقتراض من اليونانية قد تم فى مصر ولم يتم فى بلد عربى آخر ، وأنه خاصة تميز عربية مصر من سائر العربيات . وصعوبة أخرى تمس التأثير اليونانى فى عربية مصر يتمثل فى صعوبة الفصل بينه وبين التأثير القبطى ، وذلك لأن اللغة القبطية حين جاءت إلى معركتها مع العربية كانت قد اقترضت كلمات كثيرة من اليونانية ، وبخاصة فى مجال الطقوس والعبادة وحياة الرهبنة . وحين ترجمت الكتب المقدسة إلى اللغة القبطية رؤى المحافظة على كل الكلمات اليونانية التى لها دخل بالعقيدة أو تعبر عن أفكار مسيحية . ولذلك نجد من يبحثون فى التأثير الأجنبى على عربية مصر يدمجون اللغتين القبطية واليونانية ، ويتحدثون عنهما معا

فى وقت واحد . وخير مثال على هذا مافعله الدكتور جورجى صبحى فى بحثه المعنون :

Common Words in the Arbic of Egypt of Greek or Coptic Origin.

فلهذا كله سنركز حديثنا على الأثر القبطى وسنكتفى بالإشارة العابرة إلى التأثير اليونانى حين نملك الدليل عليه .

فإذا أردنا الحديث عن التأثير القبطى وجدنا شقة الخلاف تتسع بين الدارسين حول مداه على عربية مصر إلى حد التطرف فى الاتجاهين المتضادين . ففريق بالغ مبالغة واضحة فى ادعاء الأثر القبطى ، وأخذ يتصيد أى فرصة لإثبات نفوذه ، كما حاول تفسير كثير من الملامح الخاصة بعربية مصر على أنها من آثار اللغة القبطية . وفريق ثان أخذ الطرف المضاد ، وبالغ فى التقليل من آثار القبطية على العربية ، وحاول تفسير كل ظاهرة يشتم منها رائحة القبطية تفسيرا يخرجها عن المجال . وهناك فريق ثالث توسط بين الرأيين ، وسلك مسلكا معتدلا لاتحيز فيه لأحد الجانبين ولا تعصب فيه لإحدى اللغتين ضد الأخرى . ويوجد فريق رابع من الدراسين مس القضية مسا خفيفا وأشار إشارات عابرة إلى التأثير القبطى وأعطى أحكاما مبتسرة ليست مبنية على التحليل العلمى للواقع اللغوى . وسنعرض فى إيجاز لهذه الاتجاهات الأربعة ثم نعقب برأينا فى الموضوع .

أما الفريق الأول : فيمثله الدكتور جورجى صبحى الذى اشتهر بأبحاثه الضافية فى هذا الموضوع ، ونشره لكثير من الوثائق والبرديات الهامة . ولكنه مال كل الميل فى أحكامه ، وحاف حين أراد أن ينسب كل شىء إلى القبطية . ومما قاله فى هذا الموضوع :

١- بفحص مفردات اللغة العامية العربية فى مصر يفاجأ الشخص بأن يجد عددا عظيما من الكلمات التى يمكن ردها بسهولة إلى أصلها المصرى القديم أو أصلها القبطى [١] .

٢- من الممكن أحيانا ترجمة جملة صعيدية إلى القبطية ترجمة حرفية بدون تغيير نحوى ، أو عمل أى تعديل فى نظام الجملة [٢] .

٣- استعمال القبطية بجانب اللغة العربية فى مصر لمدة طويلة من الزمن قد ترك آثارا قبطية كثيرة فى اللغة العربية الدارجة ككلمات وتعابير وتراكيب أثرت على تعابير وتراكيب اللغة العربية الدارجة فى مصر ، حتى فى نطق حروف هذه الأخيرة ، وبذا أصبحت لغة مصر الدارجة مختلفة بالمرة عن سائر لهجات اللغة العربية المستعملة فى الأقطار المجاورة لمصر ، ليس فقط فى معجمها ، بل فى نحوها وصرفها [٣] .

٤- من الغريب أن الاختلاف الحالى بين لهجات اللغة العربية الدارجة (فى مصر) يوافق جغرافيا الاختلاف بين اللهجات القبطية القديمة [٤] .

---

(١) انظر جورجى صبحى ص ٢٢ من كتابه :

Common words in the Spoken Arabic of Eygypt of Greek or Coptic Origin.

و ص ٧٢ من مقاله :

Studies of Ancient Egyptian in Modern Dialects

المنشور بمجلة : Ancient Egypt عام ١٩٢١ .

(٢) نفس المرجعين ونفس الصفحتين السابقتين .

(٣) قواعد اللغة المصرية القبطية للدكتور جورج صبحى ص ٣ و ٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٤ و ٨ .

٥-كما يتمثل تطرفه فى القوائم الطويلة التى قدمها فى كتاباته المختلفة لكلمات شائعة فى عربية مصر ادعى أن لها أصلا قبطيا [١] .

ويشاركه فى القوائم الطويلة باحث قبطى آخر هو الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض [٢] . كما يشاركه فى مبالغاته فى مدى التأثير القبطى على اللغة العربية مستشرقون كثيرون منه D. Prince الذى يقرر أن هناك أثرا كبيرا للقبطية على العربية المصرية يشمل نظام الجملة والمفردات وطريقة النطق ، ومثل E. Littmann و F. Praetorius الذين صرحوا بوجود نفوذ قبطى كبير وبخاصة فى مجال النحو ونظام الجملة ، وردوا عددا من خصائص اللغة العربية المصرية إلى أصول قبطية .

بل أكثر من هذا يرى D. Prince أن صوت الجيم فى عربية مصر (بنطقه القاهرى) هو نتيجة نفوذ قبطى وليس نتيجة تأثير لهجى عربى (انظر The Coptic Influence ص ٢) .

وسوف نناقش هذا وغيره حينما يأتى دور إبداء رأينا فى الموضوع .

وأما الفريق الثانى : فيمثله المستشرق المشهور De Lacy O'Leary [٣] الذى ينفى هذا التأثير بشدة ، ويخالف Littmann و Praetorius و Stern مفسرا الأمثلة التى ذكروها على أنها ذات أصل قبطى - تفسيرا عربيا صرفا . ويذهب

---

(١) انظر مثلا ص ٧٤ و ما بعدها من : Ancient Egypt 1921 وبحثه ... Common Words وبحثه : ... The Persistence of Ancient Coptic Methods of Medical

(٢) انظر المجلة القبطية السنة الأولى ص ١٤٠ وما بعدها ، وص ٣٦٩ وما بعدها ، وص ٤١٢ ومابعدها ، وص ٤٧٠ وما بعدها ، والسنة الثالثة ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٣) انظر Notes on the Coptic Language

أو ليرى إلى أن لهجة الصعيد لاتعكس نفوذا قبطيا - كما يزعم بعضهم - وإنما تعكس نفوذا بدويا عربيا . وممن أنكر وجود أى تأثير نحوى للغة القبطية على عربية مصر المستشرق E. Galtier في بحثه : [١] .

De l'influence du Copte sur l'Arabe d'Egypte

وأما الفريق الثالث : فيمثله الدكتور ولسن بشاى الذى درس القضية دراسة موضوعية ونظر إلى جميع أطرافها نظرة علمية صرفة [٢] ، وانتهى إلى محدودية التأثير الصوتى للهجة القبطية الصعيدية على اللهجة العربية المصرية المستعملة فى الصعيد ، وانعدام تأثير اللهجة القبطية البحيرية على لهجة القاهرة . أما فى مجال النحو فقد أثبت أربعة أمثلة فقط للتأثير القبطى على المصرية الدارجة وعقب ذلك بقوله : «وهذه النتيجة تدل على أن النفوذ القبطى على العامية المصرية من جانب النحو قليل جدا بدرجة تثير الانتباه» . وأما فى مجال المفردات فقد جمع الكاتب أكثر من مائتى كلمة ادعى غيره اقتراضها من اللغة القبطية فوجد من بينها ١٠٩ كلمات فقط وافق على اقتراضها ، أما الباقى فمعظمه تمكن من رده إلى أصله العربى ، وبعضه وجده مقترضا من لغات أخرى غير القبطية وانتهى بفحصه إلى النتيجة الآتية : «إن معظم الكلمات القبطية المقترضة تتعلق بكلمات خاصة بالكنيسة ، وكلمات تستعمل فى القرى النائية وغير معروفة لكثير

---

(١) انظر Bulletin de l'Institut Francais d'Archeologie Orientale الجزء الثانى سنة ١٩٠٢ صفحة ٢١٢ وما بعدها .

(٢) يتميز الدكتور ولسن بشاى على غيره من الباحثين بما يأتى :

(أ) أنه مصرى يتكلم العامية المصرية .

(ب) أنه دارس للعربية الفصحى ولكل من المصرية القديمة والقبطية .

(جـ) أنه على معرفة بعدد من اللغات السامية الأخرى .

(د) أنه مهتم بالدراسات اللغوية الحديثة .

من المصريين . أما الكلمات القبطية المشتركة الموجودة فى المصرية الدارجة فقليلة العدد [١]» . وحين قارن الباحث التأثير القبطى بالتأثير التركى انتهى إلى القول بأن المقارنة تثبت تأثيرا قبطيا محدودا بخلاف التركى [٢] .

ونحن وإن كنا نوافق الباحث فى نظريته العامة فإننا نخالفه فى بعض التفصيلات كما سأتى فى موضعه .

وأما الفريق الرابع : فيمثله يوهان فوك الذى قال فى كتابه «العربية» : «بينما أثرت الفارسية فى عربية العراق تأثيرا بعيد المدى وكثرت فى اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصورة ملحوظة ، فإن أثر القبطية فى اللهجة العربية جد ضئيل» ، والدكتور عبدالرحمن أيوب الذى قال فى كتابه «التطور اللغوى» : «وإذا كان من الصحيح أننا نتكلم اليوم لهجة عربية فمن الصحيح أيضا أن كثيرا من الخصائص القبطية قد تسربت إلى هذه اللهجة» ، واكتفيا بذلك دون أن يحاولا مناقشة القضية مناقشة علمية ، أو يقدما الدليل على ما قالاه .

أما نحن : فنرى أن التأثير القبطى على عربية مصر لايمكن إنكاره ، وأن فترة التأثير القوى كانت فى القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى حينما كانت اللغتان حيتين ومتكلمتين . وقبل أن نبدأ دراستنا التفصيلية لهذا الموضوع نحب أن نوضح المبادىء الآتية :

---

(١) انظر : Notes on the Coptic Substratum in Egypian Arabic

ولنفس المؤلف رسالة نال بها درجة الدكتوراة من جامعة جونز هوبكنز بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٩ بعنوان : The Coptic Influence on Egyptian Arabic وقد حصلت عليها مؤخرا ورجعت إليها فى هذه الطبعة .

(٢) The Coptic Influence – المقدمة .

١- أن بعض التأثيرات القبطية قد غزا العربية الفصحى المشتركة ، وذكر فى كتب اللغة الموثوق بها [١] . وبعضها انتقل إلى عاميات أخرى غير عامية مصر .

٢- أن قضية التأثير والتأثر من القضايا الشائكة التى يعسر أو يستحيل فى بعض الأحيان القطع فيها برأى . فرب كلمة عربية يظن أصلها القبطى يظهر فيها العكس أو يظهر لها أصل أجنبى آخر تكون اللغتان قد استعارتاها منه سواء عن طريقين منفصلين أو عن طريق إحداهما . وربما يمكننى أن أمثل لذلك بكلمة «سفتجة» بمعنى «إيصال» التى وردت فى وثيقة عربية من وثائق البردى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والتى يرجع تاريخها إلى عام ٣٤٦ هـ . فواضح أنها كلمة غير عربية ، ولكنها فى الحقيقة ليست قبطية وإنما فارسية[٢] . ومن أمثلة ذلك الكلمات اليونانية الأصل الموجودة فى كلتا اللغتين القبطية والعربية ، إذ لايمكننا أن نقطع هل كانت قد دخلت العربية عن طريق القبطية أو عن اليونانية مباشرة ، كما لا يمكننا أن نقطع ما إذا كانت هذه الكلمات قد دخلت العربية عن طريق مصر أو عن طريق بلد عربى آخر . ورب كلمة نجدها فى العربية واليونانية فنظن أن أصلها يونانى وهى فى الحقيقة عربية أو سامية . وقد ضرب الأب أنساتس مارى الكرملى أمثلة كثيرة لهذا فى بحثه المعنون «تناظر العربية واليونانية» الموجود بمجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الأول .

---

(١) سبق التمثيل لذلك بكلمات مثل «قبس» و«صداع» و«مسخ» (انظر التمهيد) .

(٢) انظر كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه للقس طوبيا العنيسى ص ٣٥ . ومثل هذا كلمة «بوش» التى قال عنها ولسن بشاى : إن النظرة الأولى قد تردها إلى أصل قبطى ، ولكن الشواهد تظهر أنها ذات أصل تركى . (The Coptic Influence ص ٨) .

٣- أن اللغة المصرية الحديثة نتاج احتكاك بلغات أجنبية كثيرة مثل اليونانية والتركية والفارسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية ، ولاشك أن كلا من هذه اللغات قد ترك آثاره عليها . ومن أجل هذا فإن الكلمات غير العربية المستعملة فى المصرية الحديثة لايمكن ردها إلى القبطية إلا بعد استبعاد آثار اللغات السابق الإشارة إليها .

٤- أن كثيرا من الخصائص التى تتميز بها عربية مصر عن سائر العربيات مرده أسباب أخرى غير النفوذ الأجنبى وغير التأثير القبطى مثل : التطور الطبيعى للغة ونفوذ اللهجات العربية . ومن الثابت تاريخيا أن القبائل العربية التى وفدت إلى مصر كانت كثيرة ومتنوعة وأنها حملت معها سمات لهجاتها وخصائصها . وكثير من هذه السمات والخصائص لم يسجل ولم يدرس ، وبالتالى فمعرفتنا به محدودة أو معدومة . ورب ظاهرة نظن أصلها القبطى يرجع أصلها إلى لهجة عربية ، أو يمكن ردها بعد التدقيق إلى قبيلة عربية معينة ، على نحو ما سنذكر فيما بعد .

٥- أن درجة تأثير اللغة القبطية على عربية مصر قد تفاوتت من مستوى لغوى إلى مستوى آخر ، وربما من كاتب إلى كاتب ومن متحدث إلى متحدث . ولكننا فى دراستنا سنقسم المستويات اللغوية إلى ثلاثة ، ونعالج كلا منها على حدة . هذه المستويات هى :

(أ) المستوى الأدبى ، أو اللغة الكتابية للأدباء ، وهذا يتمثل فى كتابات كبار الأدباء الذين شغلوا مناصب رؤساء دواوين الإنشاء ، والتى كانت تتبع مباشرة الوالى أو الخليفة . كما يتمثل فى كتابات المتخصصين فى اللغة العربية وأشعار الشعراء التقليديين ورجال الأدب بعامة .

(ب) المستوى نصف الأدبى ، أو اللغة الكتابية لغير المتخصصين . وهذا المستوى تمثله كتابات صغار الكتاب وموظفى الحكومة فى تسجيلهم للوثائق وكتابتهم للعقود ونحو ذلك . كما تمثله كتابات غير المتخصصين الذى خلفوا كتابات باللغة العربية دون أن يحققوا مستوى رفيعا فى تعلمهم اللغة العربية . والأمثلة على هذا المستوى قد حفظت لنا فى شكل وثائق من أوراق البردى ، كما حفظت فى شكل مؤلفات وصلتنا مما كتبه المؤلفون الأقباط باللغة العربية مثل سويرس بن المقفع وسعيد بن بطريق .

(جـ) المستوى العامى ، أو مستوى لغة التخاطب . وبالنظر إلى التأثير القبطى، فإننا قد اعتبرنا كل الآثار القبطية الموجودة فى لغة الكتابة لهذه الفترة – اعتبرناها موجودة كذلك فى لغة الحديث . كما اعتبرنا الآثار القبطية الموجودة فى لغة الحديث الآن تمثل الآثار القبطية التى كانت موجودة فى فترة دراستنا ، إذ أننا نفترض أن هذه الآثار إنما ترجع إلى القرون الأولى للهجرة حينما كانت اللغة القبطية لاتزال لغة حية متكلمة ، وحينما كان لها نفوذ على اللغة العربية .

٦- أننا فى دراستنا للأثر القبطى سنفصل بين ثلاثة أنواع من التأثيرات وسنحاول أن نتتبع كلا منها على حدة . أما هذه الأنواع الثلاثة فهى :

(أ) التأثيرات الصوتية .

(ب) التأثيرات النحوية والصرفية .

(جـ) التأثيرات فى مجال المفردات .

وإليكم التفصيل :

(أ) التأثير الصوتى

من الصعب أن نتتبع التأثير القبطى على الأصوات فى لغة الكتابة على المستويين الأول والثانى ، ولهذا فسنقصر حديثنا على المستوى الثالث ، وهو مستوى لغة الخطاب .

لاشك أن من أهم الصعوبات التى تصادف المتحدث بلغة أجنبية ، نطقه للأصوات غير المألوفة ، أو غير الموجودة فى لغته . ويزداد الأمر صعوبة إذا بدأت محاولته فى سن متأخرة بعد تعود جهازه النطقى النطق بطريقة معينة . ولهذا فنحن نتصور أن الوضع فى المرحلة الأولى من الاختلاط كان هكذا : يتحدث العربى بطريقته الخاصة غير المشوبة بعنصر أجنبى ، أما القبطى الذى تعلم اللغة العربية فكان يتحدث بلهجة مخلوطة بلكنة أجنبية ، أو بعبارة أخرى كان «يقبِّط» نطقه العربى . ومع ذلك فنحن نتصور أن نطق القبطى للغة العربية لم يتخذ فى يوم ما مقياسا للغة الحديث ، ولم يقبل كنموذج للصواب اللغوى . والسؤال الآن : هل تركت اللغة القبطية أى آثار على الناحية الصوتية للغة الحديث بحيث صارت هذه الآثار حقيقة مسلما بها ، ودخلت لغة الخطاب العامة ، وأصبحت لاتثير انتباه المتكلمين ، ولا يشعر بغرابتها أو شذوذها السامعون ؟

يجيب بعضهم عن هذا السؤال بالإيجاب ، ويضربون أمثلة على هذا التأثير . ولكن بالفحص الدقيق يتبين خطأ هذا الرأى ، وعدم صحة الأمثلة التى ذكروها .

ومما قيل فى هذا الموضوع :

(أ) أن العربية الصعيدية تنطق صوت «الجيم» بقيمته الصوتية القبطية . فهى تنطقه «ز» كما ينطق فى اللغة القبطية ، وبصورة مختلفة عن نطقه فى كل الأقطار الأخرى المتكلمة باللغة العربية [١] .

(ب) أن نطق القاف جيما غير معطشة فى لغة الصعيد حدث بتأثير النطقى القبطى للرمز «k» الذى يمثل القيمة الصوتية للرمز «ق» والذى كثيرا ما لفظه الأقباط جيما غير معطشة [٢] .

(جـ) أن نطق القاهريين للجيم كـ «g» قد نشأ فى ظل نفوذ قبطى .

ولكن البحث الدقيق أثبت خطأ كل ما سبق :

(أ) فنطق الجيم الموجود بين عامة الصعيد يعكس - على ما حقق دى لاسى أوليرى - أثرا بدويا لا أثرا قبطيا .

(ب) ونطق القاف جيما غير معطشة يقع كذلك - كما أثبت دى لاسى أوليرى - فى حديث البدو السوريين وبدو الجزيرة العربية فى جدة ومكة ونجد ... وأجزاء من فلسطين والعراق ... ولهذا فهو اتجاه بدوى يعطى دليلا على استقرار قبائل بدوية فى مصر العليا فى العصور الوسطى . فهو - مرة أخرى - خاصة بدوية وليس خاصة قبطية .

(جـ) وصت «g» فى القبطية مجرد تنوع ألفونى فى حين أنه فونيمى فى كل من عربية القاهرة (بدلا من الجيم الفصحى) وعربية الصعيد (بدلا من القاف فى

---

(١) صبحى : Common words ص ٢٢ .

(٢) صبحى : قواعد اللغة المصرية القبطية ص ١٩ .

الفصحى) . وقد ثبت أن النطق القاهرى للجيم ليس غريبا على اللهجات العربية. فهو موجود - كما يقول رابين - فى بعض أجزاء من الحجاز ، وفى لبنان . وهو نطق أهل عدن كذلك كما ذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم ، وقد ورد عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين أُتى بروثة عند الاستجمار فألقاها وقال : «هى ركس» . كما ورد عليه قراءة بعض القراء : «حتى يلك الكمل فى سم الخياط» .

ويجب أن يحمل الحديث والقراءة على الكاف المجهورة (أى الجيم بالنطق القاهرى) التى كتبوها برمز الكاف حتى لايلتبس نطقها بنطق الجيم الفصحى المركبة [١] .

وقد أثبت أنوليتمان أن نطق الجيم الأصلى كان كما هو عليه الآن فى القاهرة . وقدم أدلة على ذلك من الكتب والنقوش اليونانية التى ذكرت فيها أسماء عربية ، ومن نقش وجد فى «أم الجمال» ببادية الشام مكتوب بحروف نبطية ، ومن المقارنات السامية المتعددة . أما نطقها مع التعطيش فكان نطق القرشيين فى زمان النبى[٢] ، وصار نطق القرآن الكريم .

وقيل إن نظام أصوات العلة الإضافية المستعملة فى عربية مصر اليوم إنما هو نتيجة لنفوذ اللغة القبطية ، فقد حدث نتيجة لغنى التعبيرات القبطية بأصوات العلة - ولا سيما الأخيرة - أن أصبح المصريون حين يتكلمون العربية يدخلون فى كلامهم أصوات علة مساعدة أو مختلسة فى حالة اجتماع عدد من حروف

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ص ٢٨٩ ، The Coptic Influence ص ٦٥ - ٦٧ .

(٢) بقايا اللهجات العربية - بحث بمجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول مايو سنة ١٩٤٨ . ص ١ ، ٢ .

السواكن وذلك فى جملة مثل شغل مين دا ؟ التى تنطق ? Shughl (i) Min da [١] وفى رأينا أن هذا التفسير لهذه الظاهرة خاطىء فإن ما حدث كان مجرد جلب حركة صغيرة أو نصف حركة للتخلص من التقاء السواكن نتيجة لإلغاء ظاهرة الإعراب فى لغة الحديث . أو بعبارة أخرى للتخلص من وقوع المقطع س ع س س [٢] وسطا حيث إن وقوعه مقيد بكونه المقطع الأخير [٣] . وبذلك تحولت الجملة مـن س ع س س / س ع ع س / س ع إلـى س ع س / س ع / س ع ع س / س ع . وهكذا نرى عدم وجود أى أثر قبطى فى ذلك وإنما هو تغيير لموافقة طبيعة اللغة العربية .

وهناك أمثلة أخرى يحتمل اشتمالها على نماذج للتأثير الصوتى للغة القبطية على عربية مصر قد حددت بعد دراسة مقارنة لأصوات اللغة القبطية والعربية الفصحى والمصرية الدارجة . وقد وجد أن من الخصائص الصوتية التى توجد فى القبطية والمصرية الدارجة دون العربية الفصحى ما يأتى :

(أ) استعمال الفونيم [٤] . P = پ .

(ب) تسهيل صوت العين .

(جـ) عدم وجود الصوت ث [٥] .

(د) إبدال العلة المركبة علة طويلة .

---

(١) Prince ص ٢٩٦ .

(٢) س = ساكن Consonant و ع = علة Vowel .

(٣) انظر Mitchell فى : Prominence ص ٣٧١، ٣٧٥، و د. أيوب فى التطور اللغوى ص ٨٩ .

(٤) كلمة فونيم Phoneme مصطلح يراد به الوحدة الصوتية المستقلة التى قد تضم صوتا واحدا أو عدة أصوات متشابهة يتوقف استعمال كل منها فى الغالب على موقعه فى الكلمة وعلى الأصوات المجاورة له .

(٥) بشاى : Notes وصبحى : قواعد اللغة المصرية ص ١٦ .

ولكن الظاهرة الأولى ليس مردها اللغة القبطية بدليل اختفاء التفريق بين الرمزين ب و پ فى القبطية ونطقهما كما تنطق الباء العربية فى المصرية القديمة أى قبل تكوين اللغة القبطية [١] . وقد لاحظ ولسن بشاى أن الكلمات القبطية المشتملة على پ قد حولتها عامية مصر حين اقترضتها من القبطية إما باء كما فى پشاى التى صارت بشاى (علم) ، أو فاء كما فى منپلوط التى صارت منفلوط . كما لاحظ أن پ لاتقع فى عامية مصر إلا فى الكلمات المقترضة حديثا من لغة أوربية مثل «بيانو» ، و «بيجامه» . (The Coptic Influence ص ٦٤ و ٦٥) . ولهذا فنحن نرى معه أنها ظاهرة حديثة النشأة ، ولم تكن موجودة فى الفترة التى ندرسها وأنها دخلت عربية مصر مع النفوذ الأوربى الحديث .

وأما الظاهرة الثانية فنرى أنها - من ناحية - تطور حديث يلى فترة الصراع بين القبطية والعربية ، ومن ناحية أخرى نتيجة التسهيل بإبدال الصوت الساكن الحلقى إلى صوت لين مماثل . أما أنها تطور حديث فلغيابها فى جميع وثائق البردى التى بين أيدينا . وعلى ما حققه البروفسر جروهمان فإن الصيغة العددية التى كانت مستعملة فى الوثائق هى حد عشر وخمستعشر وستعشر [٢] ... وأما أنها نتيجة التسهيل إلى صوت لين مماثل فإن من الثابت صوتيا وجود علاقة بين صوت الحلق والفتحة . وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : «إن أصوات الحلق تناسب فى الغالب وضعا خاصا للسان يتفق مع ما نعرفه من وضعه فى الفتحة [٣] » . وما الألف فى حداشر وخمستاشر إلا فتحة طويلة . ويفسر الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب هذه الظاهرة قائلا : «أما العين فالظاهر

---

(١) صبحى : قواعد اللغة المصرية ص ١٨ ، و Common words ص ٢٣ .

(٢) From the World ص ٩٦ .

(٣) من أسرار اللغة ص ٣٣

أن المصرية تميل إلى التخفيف من درجة احتكاكها وذلك بجعل فتحة مخرجها فى الحنجرة أكثر رخاوة واتساعا . وتكاد تكون العين القاهرية تقارب الحركة لهذا السبب[١] » .

وأما اختفاء الصوت (ث) من لغة الحديث فواضح -من وثائق البردى- أنه موغل فى القدم ، وأنه تحول تم فى القرون الأولى . ومع ذلك فلم يكن نتيجة تأثير قبطى وإنما نتيجة التخفف من الأصوات العسيرة فى النطق كما حدث بالنسبة للصوت (ظ) الذى حل محله (ض) فى مثل «احفـض» (وثيقة مؤرخة ١٠١ هـ) و (ذ) التى صارت (د) ونحو ذلك ، أو هو لهجة عربية كما سنتحدث فيما بعد .

على أن وجود الصوت ث أو عدم وجوده فى اللغة المصرية القديمة أمر مختلف فيه . فقد أثبته البروفسر Plumley كصوت مستعمل فى اللهجة القبطية الصعيدية حين ذكر أن الرمز ϕ ينطق th فى حين أن الدكتور جورجى صبحى لم يثبته من بين أصوات القبطية حين ذكر أن هذا الرمز ينطق إما تاء أو طاء .

وأما إبدال العلة المركبة علة طويلة كما فى «يُوم» و «لُون» و «كُوم» فقد نفى ولسن بشاى التأثير القبطى فيه قائلا : «إن تحويل aw إلى ō موجود فى اللغات السامية وسائر اللهجات العربية أيضا» ومثل هذا ينطبق على ey التى تصير ē مثل طِير وخِير.. وخلص من ذلك إلى القول بأن وجود ō (أو ē) فى المصرية من الأفضل تفسيره بأنه نتيجة تغير داخلى لانفوذ قبطى (The Coptic Influence ص ٦٨ - ٧٠) .

---

(١) التطور اللغوى ص ٧١ . وقد انتهى ولسن بشاى إلى ما أنتهينا إليه فقال : «إن المقارنة مع اللغات السامية الأخرى واللهجات العربية تظهر أن العين فيها تتجه إلى التسهيل والإضعاف الذى يؤدى إلى الاختفاء . وقد ظهر هذا فى الأكادية فى وقت مبكر ، وفى بعض اللهجات الحجازية . وعلى هذا فمن الأقرب تفسير اختفاء العين أو تسهيلها تفسيرا داخليا دون الالتجاء إلى مؤثر خارجى (The Coptic Influence ص ٦٨)

والنتيجة التى ننتهى إليها هى أن تأثير اللغة القبطية على عربية مصر فى مجال الأصوات معدوم تماما فى لهجة القاهرة ، وإن كنا لاننكر احتمال وجود بعض التأثيرات فى نطق أبناء الصعيد بخاصة ولكن بدرجة محدودة جدا [١] .

ومن المناسب أن نشير فى ختام هذا الحديث إلى حقيقة هامة تتعلق بالمخطوطة العربية التى كتبت بحروف قبطية . فقد كنا نتوقع أن يظهر فيها تأثير الأبجدية القبطية على الأصوات العربية بأن تختفى الأصوات العربية التى لايمكن تمثيلها برموز قبطية ، ولكن لم يحدث هذا ، إذ رأى الكاتب أن يمثل الصوت العربى برمز قبطى يمثل أقرب الأصوات إليه ، ثم يضع الرمز العربى أو جزءا منه فوق الرمز القبطى . فعل ذلك مع صوت القاف إذ كتبه k ووضع فوقه الرمز ق . وفعل ذلك مع أصوات الحلق الثلاثة الهاء والحاء والعين فكان يمثلها بالرمز القبطى ϩ ، ثم للتعبير عن الهاء يدعه كما هو ، وللتعبير عن الحاء يضع الرمز ح فوقه وللتعبير عن العين يضع الرمز عـ (رأس عين) فوقه ... وهكذا .

---

(١) مثل تغوير الأصوات الطبقية قبل الكسرة وهو ملمح يميز عربية الصعيد عن غيرها (انظر Bishai فى The Coptic Influence ص ٧٠ و ٧١) .

(ب) التأثير النحوى والصرفى[١] .

لايوجد نفوذ قبطى على جانبى النحو والصرف فى لغة الكتابة بشقيها ، ونعنى بالنفوذ القبطى انتقال قاعدة نحوية أو نظام صرفى معين إلى لغة الكتابة العربية ، وقبول الكتاب لهذا التعبير الجديد واعتباره الأصل والقاعدة . وكل ما نجده - نتيجة لاختلاف نظام الجملة وقواعد النحو بين اللغتين - أخطاء كثيرة فى بعض المخطوطات العربية القبطية يرجع معظمها إلى الترجمة الحرفية من القبطية على أيدى أناس لايجيدون اللغة العربية . وأبرز خطأ ظهر فى هذه المخطوطات تذكير الكلمات وتأنيثها . فقد عولجت بعض الكلمات المذكرة على أنها مؤنثة إذا حدث أن كانت كذلك فى القبطية ، وكذا العكس . ومثال ذلك كلمة الأرض التى هى مؤنثة فى العربية ومذكرة فى القبطية ، وقد عوملت معاملة المذكر فى بعض المخطوطات العربية التى كتبها مؤلفون أقباط . ويوجد كذلك كلمتان فى القبطية للتعبير عن «الليلة» واحدة مذكرة والأخرى مؤنثة . ولكننا نجد الكلمة العربية «الليلة» تعامل معاملة المذكر فى بعض المخطوطات القبطية ربما حينما شاع استعمال الكلمة القبطية المذكرة . ومن أبرز الأخطاء كذلك استعمال المفرد بدل الجمع فى تمييز العدد فى نحو «تسعة دينار» (بدلا من دنانير) «وأربعة ألف» بدلا

---

(١) استعارة الظواهر النحوية قضية خلافية بين المحدثين من اللغويين ، فينكر Whiteney إمكان هذا ويقول «لم يتعرف دارسو اللغات قط على تلك اللغة التى تتضمن مزيجا من القواعد النحوية ، وتبدو هذه اللغة بالنسبة لهم مخلوقا عجيبا ، بل هى أحد المستحيلات» . وينادى دى لاسى أو لبرى بنفس الرأى إذ يقول : «لاتوجد لغة بقواعد نحوية مختلطة» أما يسبرسن فيرى أن فى هذا القول شيئا من المغالاة والإسراف . ويضرب عدة أمثلة على تأثر اللغات بعضها ببعض فى هذه الناحية . ومما يؤيد هذا الرأى ما نعرفه فى الصلة بين العربية والفارسية حين استعارت الفارسية طريقة الجمع العربية وجمعت عليها بعض الكلمات الفارسية . هذا إلى أن نظام الجملة فى العصر الحديث قد تأثر إلى حد ما ببعض الأساليب الأجنبية ، ولا سيما فى أسلوب الكتاب المعاصرين الذين تأثروا بالثقافة الأوربية (انظر على وجه الخصوص «من أسرار اللغة» ص ٩٥ وما بعدها) .

من (أربعة آلاف) ، (مراد كامل : حضارة مصر ص ٧١) . ولكن – مرة أخرى – لايعد هذا ونحوه نفوذا قبطيا إذ ظل الناس ينظرون إليه على أنه لحن أو خطأ ، ولم يكتب له حظ القبول والشيوع بين عامة الكتاب . نعم هناك أمثلة كثيرة فى لغة الكتابة يتضح فيها أثر الأجنبى فى استعمال اللغة ولكنها كلها يمكن أن ترد إلى عامل الميل الطبيعى إلى التيسير الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وليس فيها أى أثر لنفوذ قبطى بخاصة .

أما فى لغة الحديث فربما كان الأمر على خلاف ذلك ، وهناك – على الأقل – ادعاءات بوجود هذا النفوذ . وسنحاول الآن أن نستعرض الخصائص الغريبة التى تبدو فى عربية مصر لنرى هل تعكس نفوذا قبطيا أولا :

(أ) استعمال «ما» كسابقة prefix تفيد الأمر مثل : ما تكتب (اكتب) .

(ب) استعمال «أ» بالإضافة إلى ضمير الشخص كسابقة مع الفعل الماضى مثل : أهو سمع .

(جـ) استعمال اسم الإشارة «دا» فى وظيفة معينة فى الجمل غير الفعلية مثل : دا أنا الملك .

(د) تأخير أداة الاستفهام إذا كانت معمولا مثل : رحت فين ؟

(هـ) استعمال الصفة متبوعة بحرف الجر «عن» بدلا من صيغة التفضيل العربية العادية مثل : هو كبير عنى فى مقابل هو أكبر منى .

(و) إلغاء ضمير المثنى واستعمال ضمير الجمع للمثنى والجمع كليهما مثل : الولدين رجعوا .

(ز) حذف حرف العطف فى العدد مثل مية خمسة وعشرين بدلا من مائة وخمسة وعشرون .

(ح) تأخير اسم الإشارة عن المشار إليه مثل : الولد ده فى مقابل : هذا الولد .

أما الظاهرة الأولى فقد ذكرها الدكتور بشاى قائلا : إن استعمال «ما» مع المضارع للدلالة على الأمر لايمكن أن يرد إلى اللغة الفصحى ، كما لايمكن أن يرد إلى أى استعمال سامىّ أو أى لهجة عربية . ومعنى هذا أنه من الصعب رد هذا الاستعمال الخاص لعربية مصر - رده لعامل التغيير الداخلى ، فتكون القبطية هى أقرب المؤثرات على عربية مصر فى هذا الاستعمال [١] . وما ذكره الدكتور بشاى لايصلح أن يكون دليلا أو شبه دليل على النفوذ القبطى . ولايكفى فى نظرنا أن نجد ظاهرة غريبة فى عربية مصر لنسارع فننسبها إلى النفوذ القبطى . وأى قبطية فى «ما» ؟ وأى قبطية فى «تكتب» ؟ أما التركيب نفسه فيبدو أنه هو التركيب العربى المكون من «ما» النافية والفعل المضارع ، ويكون النفى قد خرج هنا عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر هو الاستنكار أو التوبيخ المدلول عليه بالتنغيم المعين للجملة ، فكأن الجملة تعنى : لماذا لاتكتب ؟ ومفهوم هذا طلب الكتابة ، وهو ما يؤديه التركيب «ما تكتب» . وربما كان أقرب إلى القبول أن نقول إن «ما» أداة استفتاح وهى «أمَا» ، ولكن على عادة السرعة والاختصار فى الكلام قالوا «ما تكتب» وربما زاد الاختصار عن ذلك فقيل «متكتب» .

بل أكثر من هذا ذكر Heikki Palva أن نفس الاستعمال موجود فى عربية فلسطين (ولكن انت بتتعب لين . ما يتعب أبو العيال) وفى عربية دمشق ، بل وفى عربيات أخرى غير متاخمة كما فى عربية بغداد (لاكْ ما تقوللى انت عملت إيش). وعلى الجانب الآخر ذكر أنه استعمال غير شائع فى القبطية وأنه يوجد إلى جانبه صيغتان أخريان ، ومن غير المعقول أن نعتبر هذا التعبير الشائع جدا فى مصر

---

(١) The Coptic Influemce ص ٨٦ .

قد وقع تحت نفوذ استعمال قبطى قليل الشيوع ، والأقرب أن يكون وجوده نتيجة تطور داخلى (انظر Notes ص ١٣٠ - ١٣٤) .

وحتى على فرض جهلنا بأصله العربى فليس معنى ذلك الحكم بقبطيته . وما أكثر ما احتوت اللغة العربية على لهجات قديمة عرفنا أقلها وجهلنا معظمها . وما أكثر ما أغفل القدماء تسجيله من اللهجات العربية لسبب أو لآخر . وقد كان كثير من هذه القبائل المتروكة لهجاتها من بين القبائل التى هاجرت إلى مصر واستوطنتها كما سنفصل الحديث فيما بعد .

وأما الظاهرة الثانية فقد ذكرها الدكتور بشاى كذلك قائلا : لانظير لهذا الاستعمال فى أى لهجة عربية أخرى ، ولا يبدو أنه نتيجة تأثير أوربى ، أو نتيجة تطور داخلى حيث لايوجد شىء مماثل لذلك فى الساميات أيضا . وعلى هذا تصبح القبطية هى المصدر الوحيد لهذا الاستعمال الخاص بعربية مصر ، وتكون المصرية - فى هذه الحالة - قد اقترضت السابقة «أ» بوظيفتها النحوية ثم ربطتها بالجذر العربى [١] .

وقد تصدى Heikki Palva لتفنيد دعوى بشاى قائلا :

١- أقرب التفسيرات للعلمية هو أن الأقباط الذين صاروا ثنائيى اللغة قد تعرفوا على التركيب العربى المماثل للنموذج القبطى (أ + ضمير + فعل) وبدأوا استعمال التركيب العربى بعد ذلك على ضوء النموذج القبطى .

(٢) إقحام الهمزة ظاهرة شائعة فى عامية مصر (أهو ده المطلوب - هنا أهو الكتاب ..) ، وهذه الهمزة لايمكن إلا أن تكون تنوعا من اسم الإشارة السامى المقحم ha ← a .

---

(١)السابق ص ٩٠ .

٣- أن هذه الهمزة فى عامية مصر لاتستعمل إلا مع ضمير الغائب فى حين أنها فى القبطية تسبق كل الضمائر .

٤- أن هذه الهمزة فى عامية مصر لاترتبط بالفعل الماضى فقط بخلاف القبطية.

٥- هناك نموذج جزائرى يقرب من النموذج المصرى حيث تستعمل «أو» أو «أم» إلى جانب «هاهو» و «هاهى» ... وتأتى فى بداية جمل مثل (هاهى بنتك ، أم والديكم ..) كما تأتى مع الماضى ويغلب حينئذ استعمال ضمير الغيبة . وهذه الحالة تظهر حالة وسطا للتطور الذى أدى إلى الصورة المصرية . والنموذج الجزائرى لايمكن رده إلى التأثير القبطى .

٦- من الواضح - بعد هذا - أنه من الضرورى اعتبار هذه الظاهرة نتيجة تطور داخلى للغة العربية سواء فى مصر أو الجزائر [١] .

وأما الظاهرة الثالثة فقد ذكرها الدكتور «بشاى» ومن قبله «ليتمان» . والتعبير فى رأينا تبدو فيه الروح العربية الصرفة . إنه يبدو وكأنه صورة أخرى للتعبير «إنه أنا الله» الموجود فى القرآن الكريم . فكأن «دا» هنا حلت محل «إن» و«ضمير الشأن» . وكأن القائل «دا أنا الملك» يعنى ما يعنيه قائل التعبير العربى : «إنه أنا الملك» . ثم لامعنى لقول بشاى إن هذا التعبير يستعمل فى الجمل غير الفعلية ، فهو موجود فى الفعلية كذلك . فكلنا نقول : دا أنا قمت ، دا أنا كتبت ... إلخ . وهذا التعبير - بعد هذا - موجود - كما حقق دى لاسى أو ليرى وغيره - فى عربية سورية وفى اللغة الملطية وغيرهما [٢] .

---

(١) Notes ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) وانظر The Coptic Influence ص ٨٤ .

أما الظاهرة الرابعة فقد كثر القيل والقال فيها واعتبرها الدكتور «بشاى» تغييرا جوهريا فى اللغة المصرية الدارجة نتيجة نفوذ قبطى . وقد سبقه إلى هذا الرأى Stern و Praetorius و Littmann . وفى رأينا أن الباحثين الاربعة لم يحالفهم التوفيق وأن القضية كالآتى :

١- أن هذه الظاهرة موجودة فى عربية سورية ، فهم يقولون الكتاب منين ؟ .

٢- هناك أمثلة وردت لهذا التأخير فى العربية الفصحى . وإذا كان النحاة قد أولوا بعضها بما سموه بالتعليق وهو إبطال عمل العامل لفظا لا تقديرا فهذا لاينفى وجود الاستعمال . ومن الأمثلة الواضحة التى لايمكن ردها ما روى من أن مؤذنا سُمع يقول : أشهد أن محمداً رسولَ الله ، فقال له أعرابى : ويحك ! يفعل ماذا ؟[1] .

٣- أن تأخير أداة الاستفهام ليس القاعدة فى القبطية ، فقد ورد فى المقدمة المسماة بالكفاية فى نحو اللغة القبطية للشيخ الوجيه القليوبى (وهى من كتب القواعد القبطية المعتمدة ومؤلفها من أوائل من كتبوا فى نحو القبطية ، وهو من علماء القرن الثالث عشر الميلادى) أن «أين» تقع قبل الكلام وبعده (ص ٣٥) وأن «متى» لاتأتى إلا مع فعل قبلها أو بعدها (ص ٣٦) . كما ذكر أحكام «من» إذا تلتها نكرة أو معرفة (ص ٣٤) وذكر أن «كيف» يحسن أن يقع بعدها فعل (ص ٣٥) ، وذكر الدكتور عبدالمحسن بكير فى كتابه «قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى» أن «من» و «ما» لهما الصادرة (ص٣٧ و ٣٨) .

---

(١) البحث اللغوى عند العرب ص ٨٦ .

٤- أن القاعدة فى العامية المصرية ليست تأخير أداة الاستفهام ، فنحن نقول : فين أخوك ؟ وأخوك فين ؟ كما نقول : منين جيت ؟ وجيت منين ؟ .

٥- أن بعض الأمثلة التى تؤخر فيها الأداة مرجعه إعادة تنظيم الجملة وتغيير هندستها نتيجة للتخلص من الإعراب . وأضرب لذلك المثال الآتى :

لنأخذ الجملة الفصحى : قابل محمد عليا . يمكننا أن نسأل عن المفعول فنقول : من قابل محمد ؟ وعن الفاعل فنقول من قابل عليا ؟ والفرق واضح بين الجملتين نظرا لوجود الإعراب . فإذا حولنا هاتين الجملتين إلى العامية المصرية فقلنا : مين قابل محمد ومين قابل على لم يكن هناك دليل على وظيفة كل كلمة فى الجملة . ولهذا استعاضت العامية عن الإعراب بالموقعية فخصت مين قابل على ؟ حين تكون «مين» فى موقع الفاعل ومحمد قابل مين حين تكون «مين» فى موقع المفعول . وهكذا يتضح غياب النفوذ القبطى فى هذه الظاهرة .

أما الظاهرة الخامسة فقد أشار إليها «ليتمان» ، واعتبرها نتيجة نفوذ قبطى، وأشار إليها «بشاى» ولكنه تشكك فى كونها نتيجة نفوذ قبطى . ومن المعروف أن اللغة المصرية القديمة ليس فيها صيغة خاصة بالتفضيل النسبى أو التفضيل المطلق . ويعبر عن التفضيل النسبى بحرف الجر الذى يسبق الاسم المفضل عليه[١] .

ولكن مرة أخرى ليس هناك أى دليل قد يشتم منه إرجاع هذه الظاهرة فى العامية المصرية إلى أصل قبطى . والأمر فى رأينا يحتاج إلى التفصيل الآتى :

---

(١) دكتور بكير : قواعد اللغة المصرية ص ٤٠ و ٤١ .

١- تعبر العامية المصرية عن التفضيل بوسيلتين ، هما : أفعل + من ، أو الصفة + عن . ويبدو أن الاتجاه أول الأمر كان نحو إيثار الصيغة الأولى ، كما يبدو من مخطوطات القرن الرابع عشر المكتوبة بحروف قبطية حيث جاء فيها «صار أردا من الكل» ثم تحول الاتجاه رويدا رويدا إلى الصيغة الثانية . ولايمكننا أن نقطع برأى حول أيهما أكثر شيوعا فى الاستعمال الحديث ، فإنه يفهم من كلام دى لاسى أوليرى أن الصيغة الثانية أكثر شيوعا ، ويفهم من كلام Galtier أن الصيغة الأولى أكثر شيوعا .

٢- ذكر Galtier أن هذا الاستعمال موجود فى العربية الفصحى كذلك ، وأن من المحتمل أن يكون معنى التفضيل فيه قد جاء من معنى «عن»[١] .

٣- استعمال الصفة + حرف الجر له نظير فى اللغة العبرية ، تلك اللغة التى تكشف أحيانا عن خصائص تتفق مع اللغة العربية المصرية الدارجة . ومن أجل هذا افترض دى لاسى أوليرى أن صيغة «أفعل من» قد تكون أحدث فى الاستعمال من الصفة + عن . ومعنى هذا أن التعبير الثانى كان مستعملا فى القديم ، وظل محتفظا به فى العبرية ، كما احتفظت به بعض اللهجات العربية ، واستمر فى شكل بقايا فى اللهجات العربية الحديثة .

٤- ذكر الدكتور عبدالمحسن بكير أن هذا الاستعمال مطرد كذلك فى السريانية والأكادية وكلاهما سامى .

٥- ذكر دى لاسى أوليرى أن استعمالا مماثلا موجود فى لهجات أخرى حيث لايوجد نفوذ قبطى ففى مراكش يستعملون الصفة + على ، وفى عُمان يستعملون أفعل + عن .

---

(١) The Coptic Influence ص ٨٧ .

٦- ذكر Galtier أن هذا الاستعمال موجود فى التركية وغيرها .

وأما الظاهرة السادسة فلم يشر إليها أحد ، ولكنها قد ترد على البال نتيجة لما نعرفه عن اللغة القبطية من استعمالها ضميرا واحدا للمثنى والجمع[١] . ولكن هذه الظاهرة هى الأخرى عربية أصيلة ، واستخدام ضمير الجمع للمثنى معروف عند العرب قديما ، وورد فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى : «هذان خصمان اختصموا» .

وأما الظاهرة السابعة فقد لفت نظرى إليها ما وجدته فى أوراق البردى من حذف واو العطف فى جملة نحو «مئة ستة وأربعين درهم» مع ما ذكره الدكتور عبدالمحسن بكير من أنه لاتوجد أداة عطف فى اللغة المصرية القديمة ، بل تأتى الكلمات المعطوفة بعضها يتلو البعض الآخر (ص ١٧) . ولكن يغلب على الظن أن هذا الحذف كان بقصد التخفف من تكرار الواوات وأن هدفه هو التيسير وتوفير الجهد .

وأما الظاهرة الثامنة ، فقد لفت النظر إليها أنها خاصة من خواص المصرية العربية من بين سائر اللهجات كما صرح دى لاسى أوليرى . ولايمكن أخذ أى نتيجة من الصيغة «دا» لأنها موجودة فى «عُمان» وشمالى إفريقية (ماعدا تونس) وغيرها . وقد صرح سيبويه نفسه بأن الهاء ليست جزءا من اسم الإشارة وأنها حرف تنبيه . ولكن موقع اسم الإشارة هو المهم فى هذا المقام ، فمن المعروف أن المصرية القديمة تضع اسم الإشارة بعد الاسم[٢] . (أما فى

---

(١) المقدمة للقليوبى ص ٢٥ و ٢٦ ، ومقدمة ابن الدهيرى ص ٩٣ .

(٢) دى لاسى Notes ص ٢٥٣ .

القبطية فاسم الإشارة يسبق الاسم) ، فهل أثر هذا على وضعه فى عامية مصر ؟ مع وجود هذا الاحتمال فإننا نرى أن هذا تطور داخلى بحت لا أثر فيه للعامل الخارجى أو الأجنبى . وقد ذكر الدكتور عبدالمجيد عابدين أن اسم الإشارة يأتى للتبعية الوصفية بعد المشار إليه فى لهجة السودان كذلك ، فيقال : الراجل دا ، وقد يتقدم على المشار إليه . ومن الأمثلة التى احتفظت فيها عامية مصر بموضع اسم الإشارة قبل المشار إليه قولهم : «دلوقت» التى تتركب من اسم الإشارة + كلمة الوقت . وفى رأيى أن وضع اسم الإشارة بعد المشار إليه قصد به التيسير وتجنب التشعيبات الموجودة فى اللغة الفصحى . انظر مثلا الجملة : أخوك هذا ... فى الفصحى حيث لايصح أن يتقدم اسم الإشارة فيها فيقال هذا أخوك ... ، والجملة هذا الأخ ... حيث يتقدم اسم الإشارة . أما فى العامية فيقال فيهما كليهما : أخوك ده ... والأخ ده ... بتوحيد مكان اسم الإشارة بدون نظر إلى نوع المشار إليه .

ونخلص من كل هذا إلى أنه ليس هناك دليل أو شبه دليل على وجود أثر قبطى فى مسائل النحو والصرف . وكل ما هنالك قد يكون مجرد شبهات أو احتمالات ليس جانب الإيجاب فيها أقوى من جانب السلب .

(جـ) التأثير فى مجال المفردات

لايستطيع أحد أن ينكر أثر القبطية على عربية مصر فى مجال المفردات ، ولكن شقة الخلاف واسعة بين الدارسين حول تقير مداه . وفى رأينا أنه ينبغى أن يفحص على حدة كل مستوى من مستويات اللغة الثلاثة التى سبق أن أشرنا إليها، لأن آثار هذا العامل تختلف من مستوى إلى مستوى .

فإذا نظرنا إلى المستوى الأول ، وهو المستوى الأدبى وجدنا أثر هذا العامل ضعيفا جدا لايتجاوز بضع كلمات دخلت لغة الكتابة ، وأصبحت تتردد فى أساليب المثقفين والمتخصصين . وقد حالف الحظ بعض هذه الكلمات فاقتحمت اللغة الفصحى المشتركة ولم تعد ينظر إليها على أنها خاصة مصرية أو لفظة محلية . ومن أمثلة ذلك :

١- كلمة «تليس» التى تعنى زكيبة أو كيسا كبيرا ، وقد وردت فى كتاب «المكافأة» لابن الداية . ويبدو أن هذه الكلمة قد أصابها التعريب فاعتبرت عربية ، بدليل أننا لانجد إشارة إلى أصلها القبطى فى كتب اللغة . وقد فسرها ابن منظور تفسيرا مختلفا إذ قال فى لسان العرب : «التليسة وعاء يسوى من الخوص شبه قفعة وهى شبه العيبة التى تكون عند العصارين» وقال الزبيدى فى تاج العروس إنها تستعمل كذلك بمعنى كيس الحساب يوضع فيه الورق ونحوه . وقد أشار إلى الأصل القبطى لهذه الكلمة العلامة القبطى أقلوديوس لبيب فى كتابه «مجموعة الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية» ، والبحاثة القبطى جرجس فليوثاؤس عوض وشرحها بأنها الزكيبة التى توضع فيها الحبوب وتحتوى على اثنتى عشر كيلة وصارت الآن اسما عاما للزكيبة . كما ذكرها الدكتور صبحى فى كتابه

Common words in the spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin .

٢- كلمة «طوبة» التى استعملها عمر بن الخطاب فى قوله «ولاتدخلن القبر خشبة ولا طوبة» ، واضطربت المعاجم العربية فى بيان أصلها الأجنبى ، فقيل هى شامية وقيل رومية وقيل إنها جاء بلغة أهل مصر . وقد ذكر ابن منظور كذلك أن الشافعى قد استعملها ، وكلنا نعرف أن الشافعى أمضى فترة طويلة من عمره فى مصر وألف بها بعض كتبه ، أو أعاد كتابتها . وقد ذكر أصلها القبطى الدكتور جورجى صبحى ، واعتبرها الدكتور بشاى من الكلمات المقطوع بأصلها القبطى[١] .

٣- هذا بالإضافة إلى أسماء الأعلام على اختلاف أنواعها .

* * *

أما المستوى الثانى وهو مستوى الكتابة لغير المتخصصين أو المستوى نصف الأدبى فتتردد فيه بكثرة نسبية الألفاظ الأجنبية ذات الأصل القبطى ، وأحيانا اليونانى أو اللاتينى . وسبب ذلك واضح ، وهو أن معظم صغار الموظفين فى تلك الفترة - وبخاصة فى جزئها المبكر - كانوا يحملون أسماء قبطية مثل مينا بن شنودة وسويرس بن زكريا ، مما يعنى أنهم لم يكونوا مسلمين ، وأنهم من تلك الفئة التى تعلمت اللغة العربية لتحتفظ بمناصبها أو لتنفتح أمامها أبواب الرزق . ومعنى هذا أن لغتهم العربية ليست خالصة ، وأن معجمهم اللغوى ولا شك متأثر بلغتهم الأصلية .

وإن نفوذ اللغة القبطية فى هذا المستوى قد بدا فى شكل الاحتفاظ بأسماء الشهور القبطية حتى ولو كان العام مكتوبا بالتاريخ الهجرى مثل «هاتور من عدد القبطية سنة ٢٧٣ هجرية» ، و «توت من سنة ٢٣٣ هجرية» . ومن الطريف أننا

---

(١) The Coptic Influence ص ١١٤ .

نجد بعض الناس - فى ذلك الوقت - يحملون اسمين أحدهما عربى والآخر قبطى مثل «أنها اعتقت صفراء بالعربية ، واسمها بالقبطية دجاشة ابنة أرينة» . ومن الكلمات القبطية التى وردت فى وثائق البردى :

١- كلمة «بقط» بمعنى عقد إيجار .

٢- وكلمة «حالوم» نوع معين من الجبن .

٣- هذا إلى جانب أسماء الأعلام بمختلف أنواعها .

* * *

أما المستوى الثالث وهو مستوى الخطاب أو لغة الحديث العادى ، فعلى الرغم مما يتوقع من قوة النفوذ القبطى عليه فإن النتائج النهائية تقضى بغير ذلك . نعم إن نفوذ القبطية فى هذا المستوى أكثر منه بكثير من المستويين السابقين ، ولكنه - مع ذلك - محدود ، وكثير من آثاره محصورة فى مناطق ضيقة أو أماكن نائية ، وبخاصة فى الصعيد . ولذا فهى غير معروفة لكثير من المصريين . وإذا نحن قمنا بتصنيف لهذه الكلمات الأجنبية التى يرجع كثير منها إلى أصل قبطى وجدنا معظمها يندرج تحت الرءوس الآتية :

١- كلمات خاصة بالكنيسة وبالطقوس الدينية وحياة الرهبنة مثل أنبا وأسقف وبطريق وبطريرك وأبرشية (ولاية الأسقف ورعيته) . ولكن معظم كلمات هذا النوع مقترض من اليونانية ، ولا يمكننا أن نقطع أكان انتقال هذه الكلمات إلى اللغة العربية ثم فى مصر أم فى سورية .

٢- كلمات تدل على أنواع من الطعام غير معروفة عند العرب مثل «بصارة» ، للدلالة على الطبق الشعبى المعروف . وهى فى القبطية مركبة من كلمتين ، ومعناها الفول المصرى المطبوخ ، وفول «مدمس» إذا نحن قبلنا أن أصلها قبطى ، وعيش «بتاو» ، وجبنة «حالوم» ...

٣- أسماء لأنواع من السمك أو الحيوانات المصرية مثل «ملوحة» ، و «بورى» ، و«شلبة» ، و «أنومة» ، و «تمساح» ، و «بس» المستعملة لزجر القطة ومعناها فى المصرية القديمة القط .

٤- أسماء نباتات أو آنية أو مكاييل معينة كانت مستعملة فى مصر مثل «برسيم»، و «سريس» ، و «شكوريا» ، و «سنط» ، و «بلح أمهات» ، و «بلاص» ، و«ماجور» ، و «إردب» ، و «ويبة» ، و «مترد» للوعاء الذى يوضع فيه اللبن وقت حلبه ، ومعناه بالقبطية محل اللبن[١] .

٥- أسماء أمراض أو وصفات بلدية مثل كلمة «شوطة»[٢] التى تستعمل للدلالة على الوباء ، و «سنطة» التى تستعمل للدلالة على الورم الصغير الذى إذا قطع أدمى ثم نما ثانية ، وكلمة «واوا» التى تستعمل مع الأطفال للدلالة على ألم أو جرح أو حرق .

٦- كلمات تستعمل فى القرى النائية وغير معروفة على المستوى العام مثل هْنيَهْ بمعنى شىء .

٧- أسماء الأعلام مثل الشهور القبطية الشائع استعمالها حتى الآن فى القرى المصرية ، وأسماء البلاد مثل صهرجت ، وسنهور ، وصفط ، وأرمنت ، وسمنود ... إلخ .

وأسماء الأعلام كثيرة جدا ، وإن كان من الصعب أن نعدها من الكلمات المقترضة أو ننسبها إلى لهجة عربية معينة . نعم هناك أسماء عامة مدرجة ضمن بعض أسماء المكان ، وما زالت مستعملة فى عربية مصر مثل كلمة «باب» التى

---

(١) لايمكننا أن نجزم بالأصل القبطى لهذه الكلمة ، إذ هناك احتمال كبير أن تكون الكلمة عربية على ما سنفسره فيما بعد .

(٢) قد يقال بعربية هذه الكلمة وأنها من «الإشاطة» بمعنى الإهلاك والاحتراق ، وأن أصلها «شيطة» ثم حرفت إلى «شوطة» .

تعنى مقربة (ولا علاقة لها بالكلمة العربية باب) ، وما زال المصريون يطلقون اسم «باب الملوك» على إحدى مقابر الملوك عند «طيبة» . ولكن حتى هذه من الصعب عدها كلمة مقترضة لأنها لم تعمم فى الاستعمال ، ولم تصبح فى عرف الناس مرادفة لكلمة «مقبرة» . ولا شك أن جمهور المتكلمين لايفطنون إلى معناها القديم فى القبطية .

٨- كلمات مبتذلة .

وهناك عدد آخر من الكلمات الشائعة فى عامية مصر ولها أصل قبطى مثل «سيجه» للعبة الشعبية المعرفة ، «وأول سِنّو» للعبة شعبية أيضا ، وهى تعنى الحركة الأولى من الجولة الثانية وكلمة «سنو» مأخوذة من كلمة قبطية بمعنى اثنين[١] . و «ياباى» التى يستعملها الأطفال بخاصة حيثما يرون ما يفزعهم ، ومعناها الحرفى فى القبطية «بومة» أو «غراب الليل» ، و «لبشة[٢] » قصب ، و «بخ» حينما يريدون تخويف شخص ومعناها فى القبطية «الشيطان» ، و «تف» بمعنى بصق[٣] ، وفجل «ورور» ، وطلع «بوش»[٤] ، و «بح»[٥] . بمعنى انتهى ، و «ممة[٦] » و «امبو» فى لغة الأطفال ، و «جاى» فى الاستغاثة أو الشكوى ،

---

(١) The Coptic Influence ص ٩٢ .

(٢) من الممكن أن تكون الكلمة عربية وأن تكون كما يرى أحمد عيسى مأخوذة من مادة «لبك» من قولهم رأيت لباكة من الناس أو لبيكة ، بمعنى جماعة ثم أبدلت الكاف شينا للخفة .

(٣) ربما كان الأقرب إلى الصواب كما ذكر أحمد عيسى القول بأن الكلمة ترجع إلى أصل فارسى أو تركى ، لأن «تف» و «تفو» كلمة تركية وفارسية بمعنى لعاب أو ريق . وربما كان أصلها سريانيا .

(٤) توجد فى الفارسية كلمة «بوج» ومعناها فارغ أو خال أو أجوف . ولعل الكلمة العربية مأخوذة كما قال أحمد عيسى من هذا الأصل الفارسى ، وردها بشاى إلى أصل تركى .

(٥) فى السريانية توجد كلمة «بح» بمعنى نخر أو جف أو ذبل فمن المحتمل أن تكون «بح» العربية ذات أصل سريانى . وهناك احتمال آخر أن تكون الكلمة عربية كما سنفصل فى الفصل الرابع .

(٦) هناك احتمال قوى أن أصل هذه الكلمة تركى . ففى التركية يقال للأطفال «ممة» ومعناها الثدى . وربما كانت الكلمة حكاية صوت حركة الفم عند الأكل .

«وبقلولة» أو بقليلة» بمعنى فقاعة ، و «بقوطى» لوعاء صغير معين ، و «بْشوبش» وهى كلمة دعوة للترحيب أثناء حفل الزفاف الريفى ، و «حنطور» للعربة التى يجرها حصان ، و «شبورة» بمعنى ضباب ، و «شلّوت» بمعنى رفسة وغيرها [١] .

وموضوع تبادل المفردات بين اللغات أكثر مستويات اللغة شيوعا ، لأنه يتصل بتيار الثقافة والعادات أكثر من اتصاله بأصل اللغة وجوهرها . وكم من لغة عاشت وتعيش بمفردات أجنبية ومع ذلك تظل محتفظة بجنسها المميز ، مثل «الأردية» التى اشتقت مفردات كثيرة من العربية والفارسية ، ولكنها قطعا لهجة من اللغة الهندية ، ومثل اللغة المالطية التى تعرضت لتأثير إيطالى قوى فى مفرداتها ، ولكنها ما تزال ينظر إليها على أنها لهجة عربية .

ونحب قبل أن نختم هذا الفصل ، أن نتعرض بشىء من التفصيل للدعوى العريضة التى يكثر الدارسون الأقباط من ترديدها ، وهى إقراض القبطية عربية مصر بأمداد ضخمة من المفردات . ونقتبس أولا ما قاله الدكتور جورجى صبحى فى هذا الخصوص من مثل : «بفحص المفردات المستعملة فى عامية مصر يذهل الشخص لاكتشافه عددا كبيرا من الكلمات التى يمكن بسهولة أن ترد إلى أصل قديم أو قبطى» . وبعد أن ذكر قائمة طويلة من هذه الكلمات عقب بقوله «وهناك مئات أخرى من الكلمات الشائعة فى لهجة مصر التى لاتفهم فى سائر البلاد العربية ولم ترد فى المعاجم الكلاسيكية» . فهل هذا صحيح حقا ؟ وهل عامية مصر متأثرة بالمفردات القبطية إلى هذا الحد الكبير ؟ وهل الدكتور صبحى -وغيره- على حق فى القوائم الطويلة التى ذكروها بهذا الخصوص ؟ دعنا أولا

---

(١) وانظر The Coptic Influence ص ٩٤ وما بعدها .

نلقى نظرة فاحصة عليها ، ونبين رأينا فى بعض مفرداتها لفظا لفظا قبل أن نصدر حكمنا العام فى الموضوع . تتضمن قوائم الكلمات :

١- لبؤة : والكلمة ومادتها موجودتان فى المعاجم العربية ، وليس فيها إشارة إلى أصلها الأجنبى .

٢- مصطبة : والكلمة عربية صرف . قال الأزهرى : سمعت أعرابيا من بنى فزارة يقول لخادم له : ألا وارفع لى عن صعيد الأرض مصطبة أبيت عليها بالليل ، فرفع له من سهلة شبه دكان مربع ، قدر ذراع من الأرض ، يتقى بها من الهوام بالليل . قال وسمعت آخر من بنى حنظلة سماها المصطفّة بالفاء .

٣- عزْبة : والكلمة كذلك عربية لحما ودما . وهى وإن لم ترد بنصها فى كتب اللغة فقد وردت مادتها وهى تدور حول الزرع والكلأ والرعى . ومما جاء فى لسان العرب : أرض عزوبة : بعيدة المرعى - العازب من الكلأ : البعيد المطلب - المُعْزِب : طالب الكلأ - كلأ عازب : لم يُرع قط - أعزب القوم : إذا أصابوا كلأ عازبا - أعزب إبلَه وعزّب إبله : بيتها فى المرعى .

وهكذا تبدو من الاستعمالات المختلفة لهذه المادة عربية الكلمة «عزبة» ، وحتى استعمالها فى معنى قريب جدا مما ورد فى المعاجم .

٤- فتفت : وفى اللسان : فت الشىء دقه وقيل كسره بأصابعه . والفت أن تأخذ الشىء بإصبعك فتصيره فتاتا أى دقاقا . وكل ما فى الأمر استعمال صيغة مضعف الرباعى بدلا من مضعف الثلاثى ، وتلك ظاهرة شائعة فى عامية مصر للدلالة على المبالغة واستعمال الحيلة كقولهم دقدق ، وبصبص ، وشمشم ... إلخ .

٥- صيت : والكلمة عربية وردت فى شعر لبيد [١] وفى الحديث النبوى الشريف[٢]. قال بشاى : ومما يدل على عربيتها أن مقابلتها القبطية تبدأ بـ c ، وهى لاتوصّل إلى الصاد العربية [٣] .

٦- مدة : وفى اللسان : أمد الجرح صارت فيه مدة . والمدّة ما يجتمع فى الجرح من القيح .

٧- (رجل) مهلْوِس : والكلمة تحريف للفظ العربى مَهْلُوس من قولهم رجل مهلوس العقل أى مسلوبه .

٨- هَوَّش : وفى اللسان : الهَوْشة الفتنة والهَيَج والاضطراب والهرج والاختلاط وكل شىء خلطته فقد هوشته .

٩- شوط : الكلمة محرفة عن النطق العربى شَوْط . وقد رواه الأصمعى وورد فى الحديث النبوى وفى حديث الطواف : رمل ثلاثة أشواط .

١٠- رفّ (الحاجب) : وفى اللسان رفّ النبات اهتز ، ورفّت عينه ترفّ اختلجت ، وكذلك سائر الأعضاء .

١١- مخمخم (فى وصف الشخص المزكوم) : وفى اللسان : الخمخمة ضرب فى الأكل قبيح ، والخمخمة مثل الخنخنة . ثم ذكر فى مادة خنن : الخنين صوت يخرج من الأنف ، وقال الجوهرى هو كالبكاء فى الأنف أو الضحك فى الأنف . وقال الفصيح من أعراب بنى كلاب : الخنين سُدد فى الخياشيم . والعلاقة واضحة بين المعنيين مما يجعلنا نقطع بعربية اللفظ .

---

(١) وهو قوله : وكم مشتر من ماله حسن صيتة لآبائه فى كل مبدى ومحضر .

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد إلا له صيت فى السماء .

(٣) The Coptic Influence ص ١٢٤ .

١٢- عَيِّل : وفى اللسان : عيال الرجل وعيّله : الذين يتكفل بهم ، وقد يكون العيّل واحدا عن كراع . ويبدو أن التطور الذى لحق هذه الكلمة على يد المصريين كان هو نقلها من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد بدليل أن صاحب اللسان نقل هذا الاستعمال عن كراع وحده ، وكراع من علماء اللغة المصريين كما سبق أن أشرنا .

١٣- مسخّم : وفى كتب اللغة : السخمة : السواد ، والأسخم الأسود ، والسخام: سواد القدر ، والسخام : الفحم ، والسخام : السواد . ومنه قيل سخّم الله وجهه أى سوّده . وروى عن عمر فى شاهد الزور : يسخّم وجهه أى يسود .

١٤- «أوأ» و «أم أوىء» : وهما - فى الحقيقة - تحريف للكلمتين العربيتين أوق وأم أويق . يقال : أق فلان علينا إذا أتانا بالأوْق وهو الشؤم . وسميت البومة «أم أويق» لتشاؤمهم منها .

١٥- بَرًا (كقولهم اخرج برا) : والكلمة عربية صحيحة . فالبر نقيض الكنّ ، والعرب تستعمله فى النكرة تقول : جلست برا ، أو خرجت برا ، إذا خرج إلى البر والصحراء . ولا يطعن فى عربية الكلمة ما يقوله بعض اللغويين من أنها - من ذلك التعبير الخاص من كلام المولدين ، ولم تسمع من فصحاء العرب بالبادية .

١٦- نف ونفافة : وهى عربية مأخوذة من مادة «النغف» مع إبدال الغين فاء . والنغَف ما يخرجه الإنسان من مخاط من أنفه .

١٧- عَفّ بمعنى طار كقولنا «عفّ الذباب» . وهى مشتقة من الجذر العربى عاف بمعنى حام أو طار .

١٨- هَرّ من خوفه (إذا عانى من الإسهال) ، وهى مشتقة من الجذر العربى هَرّ بمعنى تدفق وسال .

١٩- كوب . والكلمة عربية صرف ، وقد استعمل القرآن الكريم جمعها وهى أكواب أربع مرات ، وفسرها اللغويون بأنها القدح لاعروة لها أو الكوز الذى لاعروة له . ولم يقل أحد من اللغويين باقتراضها من القبطية ، لكن ذكر السيوطى فى «المهذب» أنها نبطية . ووجودها فى النبطية لاينفى عربيتها .

٢٠- حب مدشوش ، وكذلك دشيش ، وكلاهما عربى فصيح يعود إلى معنى الدشّ وهو الرضُّ والدقّ والكسر . وفى تاج العروس أن الدشيشة نوع من الحساء يتخذ من البُرّ المرضوض ، وفى حديث عائشة : «فجاءت بدشيشة» . وفى التاج كذلك : الدشّاش : من يَرُضُّ الحبوب ، ويقال : حب مدشوش (وانظر ما جاء فى الفصل الرابع عن هذه الكلمة) . وقد حكى ثعلب فى المجالس : جششت الحنطة ودششتها .

ولا نريد أن نحبر صفحات أكثر من هذا لإثبات عربية عشرات أخرى من الكلمات التى ادعى أصلها القبطى ، ولذا سنكتفى بالإشارة إلى عدد آخر منها وهو :

نَبّوت - معدية - فخّ - حَكّ - يامطرة رُخى - دبش - مهياص - مكْكع - صُباع - حَلَقٌ - حامض - كوع - سيف - قطف - كَرْم (عنب) - أريكة - تلّ - مَرهْدل - عَنتيل - قُلة (ماء) - يَامَا - جناح - لُقمة - فاس - جحش - بصق - نَقَر - رُقَاق - سلّة ... إلخ .

وهكذا يتضح أن كثيرا من الكلمات التى ذكروها عربى صرف ، وبعضه معرب عن لغات أخرى ، وثم تعريبه بعيدا عن مصر .

وقد قام الدكتور ولسن بشاى بتحليل الكلمات التى ادعى G. Sobhy أو W. Worrell أو غيرهما قبطيتها وانتهى إلى الحقائق التالية :

١- من بين ٢٠٥ كلمة ادُّعى قبطيتها لم يخلص سوى ١٠٩ كلمة .

٢- هناك ٥٨ كلمة من الأفضل ردها إلى أصول عربية .

٣- هناك ٨ كلمات ذات أصول غير قبطية وغير عربية .

٤- هناك ١٤ كلمة لايعرف أصلها على سبيل القطع .

٥- هناك ١٦ كلمة لم يرد لها ذكر فى معجم Crum للغة القبطية .

٦- أن كثيرا مما ذُكر أصله القبطى أمكن رده إلى أصول تركية أو فارسية أو فرنسية أو إنجليزية أو إيطالية أو غيرها من اللغات التى احتكت بعربية مصر بعد العصر القبطى .

٧- أن بعضا من الكلمات القبطية المقترضة لاتعرف إلا فى القرى النائية ولم تدخل عربية مصر على المستوى العام .

٨- أن بعض الكلمات التى قيل بقبطيتها اقترضتها القبطية من لغات سامية متاخمة . بل أكثر من هذا أصدر بشاى أحكاما صريحة تنص على أن «الكلمات القبطية الشائعة فى عربية مصر ما تزال قليلة العدد» ، وعلى أن «التركية التى لم تكن دارجة فى مصر قد تركت مفردات معجمية فى عربية مصر أكثر من القبطية» .

وفسر الدكتور بشاى «النفوذ المحدود» للقبطية على عربية مصر على أساس من عدم سيادة الازدواجية اللغوية خلال فترة الانتقال من القبطية إلى العربية[١] .

والخلاصة أن مخلفات اللغة القبطية من المفردات فى عامية مصر محدودة جدا بعكس ما قد يظن . فليس هناك مئات ومئات من الكلمات ، وليس هناك ذهول من كثرة عددها . وإنما هى عشرات من الكلمات لاتتجاوز بحال من الأحوال المائة .

والنتيجة النهائية التى نستخلصها من كل هذا أن التأثير القبطى على عربية مصر تأثير محدود جدا لايكاد يتجاوز مجال المفردات . وحتى فى هذا المجال فالآثار ضئيلة جدا على عكس ما يردده البعض . وليست هذه النتيجة بالأمر الشاذ أو المستغرب لدى دارسى اللغات ومراحل صراعها ، وإنما هو شىء متوقع يمكن التكهن به مسبقا . وفى ذلك يقول بلومفيلد عالم اللغة الأمريكى المشهور : حين تنتصر لغة الغزاة وتندثر اللغة المغزوة لانكاد نلحظ آثارا فى اللغة الغازية نتيجة لذلك الصراع إلا بعض الكلمات الخاصة بالبيئة الجديدة من أعلام أو أسماء الأمكنة ، ومن ألفاظ تعبر عن أشياء تتميز بها هذه البيئة ... وهذا ما حدث للغة الرومانية حين قضت على معظم لغات أوربا فى عصر الامبراطورية الرومانية[١] .

---

(١) انظر The Coptic Influenec ص ٩٣ ، ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢) انظر الدكتور إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ٩٩ (ط ثانية) و Bloomfield فى كتابه Language ص ٤٦٤ .

الفصل الرابع

المؤثر الثانى : اللهجات العربية

جاء العرب إلى مصر فاتحين ثم مهاجرين ، وكانوا مزيجا من عناصر شتى ، وقبائل متعددة . وحملت كل قبيلة معها لهجتها الخاصة التى تختلف قليلا عن أختها . واختلط كثير من هذه اللهجات ، وانعزل بعضها مكونا جزرا لغوية ، وبخاصة فى الأماكن النائية من الصحراء أو الصعيد الأعلى . ونتج عن هذا – إلى جانب عوامل أخرى كثيرة – وجود اختلافات بين لهجات الأقاليم ، واختصاص كل محافظة ، وربما كل قرية بسمات معينة ، وبخاصة فى لغة الحديث .

وإنه لمن المؤسف حقا أن نقول إن اللهجات العربية القديمة لم يسجل كثير من سماتها وخصائصها ، بل سجل القليل ، وهو ما دخل فى نطاق اللغة الفصحى ، وترك الكثير وهو ما خرج عنها . وقد قسم علماء اللغة والرواة القبائل العربية إلى قسمين اهتموا بأحدهما وأهملوا الآخر ، وبنوا فكرتهم على أساس البداوة والحضارة . فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب لحياة البدو كانت لغتها أفصح ، والثقة فيها أكثر ، وكلما كانت متحضرة أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة . وكلما كانت القبيلة منعزلة عما حولها ، ومنقطعة الصلة بالعالم الخارجى كانت لغتها أفصح وأنقى ، وكلما كانت وثيقة الصلة بالأمم المجاورة ولها علاقات من أى نوع كان مع الدول الأجنبية كانت لغتها

محل طعن وموضع ريب . وفكرتهم فى هذا أن الانعزال فى كبد الصحراء وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يفسد اللغة وينحرف بالألسنة . وأول من روى لنا قائمة محددة بالقبائل التى يستشهد بها والتى لايستشهد بها الفارابى اللغوى فى كتابه «الألفاظ والحروف» . وتعد هذه القائمة وثيقة تاريخية هامة ، وعنه أخذها أبو حيان فى «شرح التسهيل» والسيوطى فى كتابيه «المزهر» و« الاقتراح» . وإليكم نص هذه الوثيقة : «قال أبو نصر الفارابى فى أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف : كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما فى النفس . والذين نقلت عنهم اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أخذ أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب وفى التصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فلم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون العبرانية ، ولا من تغلب والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم .....» .

فإذا استعرضنا على ضوء هذه الوثيقة أسماء القبائل التى اشتركت فى جيش الفتح أو استوطنت فى مصر نجد أن كثيرا منها كان من بين القبائل غير الموثقة التى لم تسجل لغتها .

١- فمن المعروف أن أغلب المهاجرين العرب طوال القرن الأول كانوا من قبائل يمنية الأصل . وتطالعنا الوثيقة بعدّها أهل اليمن من بين غير الموثوق فيهم الذين لم تسجل لهجاتهم .

٢- أشهر من سكن مصر من «قضاعة» : «جهينة» و «بلى» و «قضاعة» مطعونة فى فصاحتها .

٣- من بطون كهلان التى سكنت مصر «لخم» و «جذام» و «غسان» والثلاثة مطعون فى فصاحتها .

٤- نزلت طائفة من قريش فسطاط مصر فى أوائل الفتح ، وسكن لفيف من الأنصار فى صعيد مصر ، وقد تجنب علماء اللغة حواضر الحجاز .

٥- هاجرت قبيلة «الكنز» إلى مصر فى القرن الثالث الهجرى ونزلت بلبيس بالشرقية ، وفى أعالى الصعيد . وبنو الكنز ينتسبون إلى ربيعة بن نزار ويرتفع نسبهم إلى بنى حنيفة المقيمين فى منطقة اليمامة . وتطالعنا الوثيقة السابقة بالتشكيك فى بنى حنيفة وسكان اليمامة .

٦- نجد قبائل من طيىء تصل مصر وتقيم بها فى القرنين الأولين بعد الفتح . وقد هاجر بطن من بطونها اسمه سنبس فى سنة ٢٤٢هـ = ١٠٥٠ م من فلسطين إلى مصر حيث نزل مديرية البحيرة . وتطالعنا الوثيقة بأن بعضا من طيىء لايوثق بلغتهم .

وهذا يعنى أن لهجات هذه القبائل التى استبعدت من مجال التسجيل ، وحكم عليها بالفساد والخروج عن نطاق اللغة الفصحى ، والتى كانت فى الواقع مصدرا من مصادر اللهجات العربية التى تكونت فى مصر بعد الفتح لانعرف عنها إلا القليل ، أو لانعرف عنها شيئا ألبتة . وهذا يلقى ظلالا كثيفة من الصعوبة على هذا الفصل حيث نفتقد الشواهد التى تعيننا على رد الظواهر اللهجية إلى مصادرها الأولى . ورب ظاهرة نحكم عليها بالخطأ وهى ترجع إلى لهجة من تلك اللهجات الوافدة . ورب تعبير أو لفظ نظن أجنبيته وهو يمت بعرق وتسب إلى أصل عربى . ورب ظاهرة صوتية نتوهم رجوعها إلى اللسان القبطى وهى ترجع فى الواقع إلى لهجة عربية أو خاصة بدوية .

وعلى أى حال فقد وضعنا أيدينا على بعض الخصائص اللهجية التى تركت آثارها فى لغة مصر فى هذه الفترة ، وسنحاول أن نعرضها الآن ، معترفين بأنها لاتمثل إلا القليل أو الجانب الصغير ، وأنه مازال بيننا وبين التقصى شوط كبير .

- ١ -

أما آثار اللهجات العربية فى المستوى الأدبى للغة - وقد استخرجناها كلها من أرقى المستويات الكتابية فى تلك الفترة - فمن أمثلتها :

أولا : فى مجال النحو والصرف :

١- إلزام جمع المذكر السالم الياء فى جميع حالاته الإعرابية . وقد لوحظت هذه الظاهرة حتى فى الوثائق المبكرة المنسوبة إلى قرة بن شريك . وهى لهجة عربية أشارت إليها كتب النحو .

٢- حذف نون المثنى بدون إضافة نحو «مائتى» بدلا من مائتين و «بيتى» بدلا من بيتين ، وقد لوحظ هذا فى وثائق البردى . وهذه أيضا لهجة معروفة فى كتب النحو وعليها المثل المشهور : بيضك ثنتا وبيضى مائتا أى بيضك ثنتان وبيضى مائتان . وجاء عليه قول الشاعر العربى :

هما خُطتا إما إسارٌ ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر

وابن جنى يرى رفع «إسار» ويستجوده .

٣- حذف أن المصدرية قبل المضارع . ومن ذلك قول الشافعى : عليه يتعلم الصلاة - قبل تُكمل الصلاة - قبل يحلّ عليك [١] . وقول ابن زولاق : لاشتهيت تصفع نفسك [٢] . وحذف «أن» لهجة عربية ، وبعضهم يبقى عملها بعد الحذف وبعضهم يبطله [٣] .

٤- حذف النون فى الأفعال الخمسة بدون ناصب ولا جازم . وقد تردد هذا فى كلام الإمام الشافعى كقوله : فلا يُحلوا المطلقة حتى تغتسل - ويتفرقوا فى بعض ما أخذوا به منهم [٤] ، كما ورد فى كلام ابن زولاق مثل [٥] : وجاءت سنانير يصيحوا . ومن كلام ابن الداية : تغيظينى بقولك أقرضينى . وهذه أيضا لهجة عربية صحيحة وجاء عليها الحديث النبوى الشريف : كما تكونوا يولى عليكم .

---

(١) الرسالة (تحقيق أحمد شاكر) ص ٤٩ و ٢٦٥ و ٥٨٢ .

(٢) أخبار سيبويه المصرى ص ٣٩ .

(٣) فى القرآن الكريم : ومن آياته يريكم البرق . وفى المثل : خذ اللص قبل يأخذك - بالنصب - وقد روى بالوجهين قول الشاعر :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلد

(٤) الرسالة ص ٥٦٢ و ٥٩٧ .

(٥) أخبار سيبويه المصرى ص ٢٨ .

٥- نصب معمولى «إنّ» كقول الشافعى : من أن ذلك موجودا على كلهم [١] . وشاهده من الشعر القديم .... إن حراسنا أسدا .

٦- إثبات الياء فى المنقوص النكرة كقول الشافعى : عن مصلى - على نواحى - وكذلك كل والى - ثلاثة معانى - كلكم مؤدى ما عليه - من وجه ثانى [٢] .

٧- إنابة الجار والمجرور مناب الفاعل مع ذكر المفعول به منصوبا كقول الشافعى: أن يُظن به ظنا مخالفا - يُشترى بالدنانير والدراهم نقدا عسلا وسمنا [٣] . وقد أجاز الكوفيون والأخفش وابن مالك ذلك لوروده عن العرب وجاء عليه قراءة أبى جعفر : «ليُجزْىَ قوما بما كانوا يكسبون» وقول جرير يهجو الفرزدق : ولو ولدت قُفَيْزَة جرْوَ كَلْبٍ * لَسُبَّ بذلك الجرو الكلابا .

٨- إلحاق علامة التثنية أو الجمع بالفعل إذا أسند إليه مثنى أو جمع كقول ابن الداية : اشتهوا علىّ صبيانى حلوى فى العيد . وتلك لهجة مشهورة معروفة فى كتب النحو باسم «لغة أكلونى البراغيث» ولها شواهد كثيرة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر العربى الفصيح .

٩- إشباع تاء الخطاب فى مخاطبة المؤنثة كقول ابن الداية : جزاء ماقدمتيه . قال الخفاجى هى لغة ربيعة ، وقد وردت فى الحديث النبوى فيما رواه البخارى كذلك [٤] .

١٠- إدخال «ال» فى العدد المضاف كقول أبى جعفر النحاس : الثلاثة الأصناف- الثلاثة الأحرف ، بدلا من ثلاثة الأصناف وثلاثة الأحرف ، وقول ابن ولاد : والثلاثة الأنجم . وهذه لهجة معروفة ورد عليها بعض الحديث النبوى .

---

(١) الرسالة ص ٤٥٨ .

(٢) الرسالة ص ٢٩٤ و ٤١٥ و ٤١٧ و ٤٣٢ و ٤٨٣ و ٥٣٠ .

(٣) الرسالة ص ٥١٤ و ٥٢٥ .

(٤) لف القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط (ط الهند) ص ٤٩ .

ثانيا : فى مجال المفردات :

نجد مفردات كثيرة تتردد فى أشعار المصريين وكتاباتهم ليس لها وجود فى المعاجم التى بين أيدينا . وهذه - فى رأينا - لابد أن تمثل استعمالات خاصة لبعض القبائل التى أهمل تسجيل لغتها ، أو تمثل مادة لغوية ندت عن حصر اللغويين . ومن أمثلة ذلك :

١- استعمال «ست» مكان «سيدة» وقد وردت فى «المكافأة» لابن الداية . وهى استعمال قديم أشار إليه أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران وذكر له البيت :

ست إن أعياك أمرى فاحملينى زقفونة

وقال الفيروزا بادى : ستى أى ياست جهاتى . وقال الزبيدى معقبا على هذا : كأنه كناية عن تملكها له . وقال بعضهم أن أصلها سيدتى فحذف بعض حروف الكلمة تخفيفا . وللبهاء زهير أبيات استعمل فيها هذه الكلمة أكثر من مرة متحديا اللغويين التقليديين وهى :

بروحى من أسميها بستى فينظرنى النحاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحنا وكيف وإننى لزهير وقتى
ولكن غادة ملكت جهاتى فلا لحن إذا ما قلت ستى

٢- استعمال كلمة «عيالات» جمعا لعيال ، وقد وردت فى «فتوح مصر» لابن عبدالحكم ، وهى ليست فى معاجم اللغة التى رجعت إليها .

٣- جمعهم «جيل» على جِيَل كقول المعلى الطائى :

كيف ياقبط تكونوا عربا ومريس أصلكم شر الجيل

ولا يوجد هذا الجمع فى «لسان العرب» ولا «القاموس المحيط» .

٤- استعمل سعيد بن عفير «تفكل» بمعنى أخذته الرعدة فى قوله :

فما زاده الإبعاد إلا توقرا وصبرا ولم يخضع ولم يتفكل

والذى فى اللسان : الأفكل الرعدة ولايبنى منه فعل . وهناك افتكل بمعنى احتفل ، أما تفكل فلا توجد .

٥- استخدام كلمة «التقليد» بمعنى المحاكاة ، كما فى قول النحاس : وهذا زجر عن التقليد . وهذا المعنى لا وجود له فى أى من المعاجم القديمة .

٦- استعمال كلمة «الخُلاّع» بمعنى الخارجين على السلطان ، فقد قال أبو عثمان السكرى فى مدح يحيى بن معاذ الذى تولى مصر عام ١٩٢ هـ :

وأباد الخلاع من كل أرض بعد ما حاد عنهم كل فارس

ولم أجد هذا الاشتقاق فيما تحت يدى من معاجم .

٧- استعماله كلمة «التزليل» بمعنى ما يحمل من مائدة صديق أو قريب . وهى عامية .

٨- استخدامه كلمة التحلّق» مع الطعام لإفادة معنى الندرة وقلة الموجود [١] .

- ٢ -

وأما آثار اللهجات العربية فى المستوى نصف الأدبى أو اللغة الكتابية لغير المتخصصين فأكثر وأغزر . ونضيف إلى الأمثلة السابقة - التى لابد أن تكون قد شاعت فى هذا المستوى كذلك - ما يأتى :

---

(١) انظر الأدب العربى فى مصر لمحمود مصطفى ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، وحياة النثر فى مصر لزيان ص ١١٦ ، ١١٨ .

أولا : فى مجال الأصوات [١] :

١- حلول التاء محل الثاء مثل تلات بدلا من ثلاث واتعشر بدلا من اثنا عشر وتعلب بدلا من ثعلب . ويروى أن عرب خيبر كانوا ينطقون التاء عوضا عن الثاء [٢] .

٢- كتابة القاف كافا ونطقا قريبا من صوت الكاف . ومن المعروف أن القاف القريبة من الكاف قد انتقلت مع الهلالية وأحلافهم من القيسيين منذ القرن الرابع الهجرى إلى أقطار شتى فى إفريقية والأندلس . وقد عرف بها عربان أهل البادية فى مصر أيام المماليك ، حتى كان هؤلاء يطاردون العربان فى المعارك ويميزونهم بهذه الكاف . فكان إذا ادعى أحد منهم أنه حضرى قيل له قل «دقيق» فإن قالها بالكاف قتل ، وإن قالها بالقاف أطلق . وقد تحدث ابن خلدون عن هذه القاف وسماها القاف المعقودة [٣] . وعدها من خصائص البدو فى الأقطار العربية [٤] .

---

(١) لم نتمكن فى المستوى السابق من أن نضع أيدينا على أى آثار صوتية ، لأن اللغة المكتوبة لاتكشف عن كيفية النطق لعدم تمثيلها أصوات العلة من ناحية ، ولمحافظتها على الهجاء التقليدى من ناحية أخرى حتى لو كانت الكلمة تنطق بصورة أخرى . أما فى هذا المستوى فقد أمكننا أن نضع أيدينا على كثير من الخصائص الصوتية وذلك بمساعدة وثائق البردى العربية المنشورة . كما كان للنص العربى المكتوب بحروف قبطية والذى نشره الدكتور صبحى أهمية خاصة فى هذا المقام نظرا لتمثيل الرسم القبطى للكلمات المنطوقة بما فى ذلك حروف العلة فيها . واعتمدنا كذلك فى كتابة هذا الجزء على مؤلفات الأقباط باللغة العربية وهى كثيرة ومتعددة .

(٢) انظر عبدالمجيد عابدين : «من أصول اللهجات العربية فى السودان» (ط أولى سنة ١٩٦٦) ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ و ٤٦ .

(٤) من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن مخطوطات دير القديس مكاريوس التى تمثل الكلمات العربية برموز قبطية تكشف عن أن صوت القاف حتى ذلك الوقت لم يكن قد كتب أو نطق فى شكل همزة بين المثقفين وأنصافهم ولم يرد فيها مثال واحد لهذه الظاهرة .

٣- كتابة الذال دالا ونطقها كذلك . ومما ورد منه : «فإدا» بدلا من فإذا ، و «أخد» بدلا من أخذ ، و «أحدق» بدلا من أحذق . ومن المعروف أن اللغة الآرامية التى كانت ذات تأثير بالغ فى كثير من لهجات العرب قبل الإسلام وبعده كانت تبدل الذال دالا بصفة مطردة . ومن المعروف كذلك أن بنى ربيعة كانوا يبدلون الذال دالا فى بعض الألفاظ [١] .

٤- التبادل بين الصاد والسين مثل فلصطين وفلسطين ، والصلطان والسلطان ، وسوف وصوف ، ومسبوغة ومصبوغة . وهذا التبادل مشهور فى اللهجات العربية القديمة ، ومن أمثلته : سفح وصفح ، وسقر وصقر ، وسراط وصراط، ولسق ، ولصق ، وبساق وبصاق ، وسفق وصفق .

٥- إهمال الهمزة بالكلية مثل «جانى» بدلا من جاءنى ، و «شى» بدلا من شىء و«أردا» بدلا من أردأ و «جاهم» بدلا من جاءهم . وقضية تسهيل الهمزة - فى القديم - بالحذف أو التخفيف أشهر من أن نشير إليها .

٦- إعمال قانون المماثلة بين الأصوات إلى أبعد حد . وأمثلة ذلك من مخطوطات دير القديس مكاريوس كثيرة منها :

(أ) «عِنده» التى كتبت «عَنده» وقد سبق أن شرحنا المماثلة بين حروف الحلق والفتحة . وقد جاءت هذه الصيغة وفقا لإحدى اللغات فى نطق «عند» .

(ب) وَسِخ التى كتبت وِسخ . والمماثلة بين الحركات ظاهرة شائعة فى اللهجات العربية ، مثل «عليهِم الجلاء» ، «فلإمه الثلث» فى بعض القراءات .

---

(١) عبدالمجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية فى السودان ص ٤٩ .

ثانيا : فى مجال النحو والصرف :

١- أهم ظاهرة تلفت نظر الباحث هى إهمال الإعراب أو التخلص منه بالكلية . وأحيانا نجد بعضهم يحاول المحافظة عليه فيقع فى أخطاء فاحشة ومن أمثلة إهمال الإعراب نقتبس ما يأتى : فدفعت لهم فاس وتليس خبز وملح - اجنوا لكم قصب - قال لى كلام . وهذه النماذج الثلاثة مأخوذة من مخطوطات دير القديس مكاريوس . وقد ندت هذه الأمثلة من الكاتب لأنه كان حريصا على التزام الإعراب ، وكان يكتب التنوين بحروف تمثل الحركة والنون مثل كلمة «مسكنة» التى كتبها كما لو كانت «مسكنَتِنْ» .

ومن الأمثلة التى وردت فى البرديات ومؤلفات الأقباط : حرف بحرف (بدلا من حرفا بحرف) - الذى كان رئيس على دير - فلم يلبث قليل حتى وقع الطاعون - أقاموا ستة أشهر إلا يوم - مما يسوى درهم - كتبت إليك كتاب - عشرين رطل .

ولا شك أن إهمال الإعراب جاء نتيجة تأثير بعض اللهجات العربية الوافدة . فعلى الرغم مما هو معروف بين علماء اللغات من أن الإعراب كان من أهم الظواهر العربية الشديدة اللصوق باللغة ، فإن كثيرا من الأمثلة اللهجية التى وردت إلينا تكشف عن اتجاه خطير نحو التخلص منه . كما أنه من غير الممكن الزعم بأن الإعراب كان ملتزما بين كل القبائل وعلى كل المستويات . وفى هذا يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : «إن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة فى متناول العرب جميعا ، بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية ولم تكن من معالم الكلام العربى فى أحاديث الناس ولهجات خطابهم» . ويستدل الدكتور

عبدالحليم النجار [١] . على شيوع ظاهرة إهمال الإعراب بأمثلة الإدغام التى وردت بكثرة فى القرآن الكريم من مثل : الكتاب بالحق - النكاح حتى - الناس سكارى - يشفع عنده - يبتغ غير الإسلام - اختلف فيه - البينات ثم - الصالحات جنات - السيئات ذلك - الجنة زمرا - وورث سليمان - حيث شئتما .

وقد أدى ذلك إلى محاولة إلزام الكلمات المعربة بالحروف وجها واحدا . ومن أمثلة ذلك : فى ذو الحجة - أبو قير (بدلا من أبا قير) - ذا النون (بدلا من ذى النون) - أبا أيوب (بدلا من أبى أيوب) - بيداه (بدلا من بيديه) - إن هاتان الخصلتان (بدلا من هاتين الخصلتين) ... إلخ .

٢- معاملة الفعل المعتل الآخر معاملة الصحيح فى الإعراب . ومن أمثلة ذلك : لم تدرى (بدلا من لم تدر) - رضيوا (بدلا من رضوا) - سُمِّيُوا (بدلا من سموا) .. وثابت لغويا وتاريخيا أن هذه هى القاعدة فى بعض اللهجات العربية[١] ، وجاء عليها قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بنى زياد

وقول الآخر :

هجوت زبان ثم جئت معتذرا ... من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ومنه أيضا قول الشاعر :

تراه وقد فات الرماة كأنه ... أمام الكلاب مصغىُ الخد أصلم

---

(١) «فى اللهجات العربية وأصول اختلافها» مقال بمجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة مجلد ١٥ جزء ١ مايو سنة ١٩٥٣) ص ٥٤ و ٥٥ .

(٢) انظر د. بشر : نظرات فى الصرف العربى ص ٢٢ و ٢٤ .

ولهذه الظاهرة آثار باقية فى لغات سامية أخرى كاللغة الجعزية التى تقول صَحو بدلا من صحا ، ورَمَىَ بدلا من رمى ، وتَلوَ بدلا من تلا وغير ذلك[١] .

٣- معاملة المؤنث المجازى معاملة المذكر فى كل شىء ، بإعادة الضمير عليه مذكرا ، ووصفه بمذكر ، والإشارة إليه باسم الإشارة المذكر مثل : هذا الدار - عينه الأيمن ... وقد كانت هذه عادة بعض العرب ، وكان المبرد من أوائل من تبنوها ونادوا بها إذ قال فيما نقله عنه أبو جعفر النحاس فى «إعراب القرآن» : «مالم يكن فيه علامة التأنيث ، وكان غير حقيقى التأنيث فلك تذكيره نحو : هذا نار» . وقد وردت شواهد عربية قديمة مصدقة لرأى المبرد مثل قوله تعالى : السماء منفطر به ، وقول الشاعر :

والعين بالإثمد الحارى مكحول

وقول الآخر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

٤- الوقوف على الضمير بنقل حركة آخره إلى الحرف الذى قبله مثل قولهم : ينفع نفسُه - فقال لُه - عَنْدُه . وقد بدا ذلك واضحا فى مخطوطات دير القديس مكاريوس .

٥- إسقاط الفاء من جواب «أما» مثل : أما بنوكم قد سقطوا ... وقد ورد ذلك فى الشعر على قلة كقوله :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيرا فى عراض المواكب

كما ورد فى الحديث النبوى الشريف .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥ .

٦- صرف الممنوع من الصرف مثل : «ذبحوا ذبائحا» و «أخذ مراكبا» . والخلاف بين النحاة فى جواز صرف الممنوع من الصرف بدون علة تناولته كتب النحو بالتفصيل . وفى القرآن الكريم «سلاسلا وأغلالا» : وفيه «اهبطوا مصرا» .

ثالثا : فى مجال المفردات والتعبيرات :

فى هذا المستوى اللغوى شاعت عبارات وألفاظ كثيرة لها أصول عربية واضحة ، ولكن ربما تحرج المتحفظون من استعمالها ، أو ربما لم يكتب لها الشيوع فى البلاد العربية فظلت لها صفة المحلية أو الإقليمية ، مما شجع بعض اللغويين أن يحكموا عليها من أجل ذلك بالابتذال أو غير الفصاحة . ومن أمثلة ذلك:

١- استعمالهم لفظتى «قبلى» و «بحرى» فى مقابل جنوبى وشمالى . وقد تردد ذلك كثيرا فى وثائق البردى وبخاصة فى وثائق البيع ووصف حدود الأراضى أو المنازل . وقد تنبه المقريزى إلى هذه الخاصة المصرية فقال فى خطَطه : إلا أن أهل مصر يستعملون فى تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلية ، ويقولون الحد القبلى ولا يقولون الجنوبى . وكذلك يقولون الحد البحرى ويريدون الشمالى .

٢- استعمال كلمة «المزين» بمعناها الحديث الذى نستعمله فيها الآن وهو الحلاق.

٣- استعمال كلمة «أبهات» جمعا لأب ، وقد وردت فى مخطوطات دير القديس مكاريوس . ولم أعثر عليها فى معاجمنا اللغوية . ولعل منشأها القياس الخاطىء لهذه الكلمة على «أمهات» . ومن الجموع الغريبة كذلك جمع «سوط» على «أسياط» و «نجيب» على «نجبان» ، و «جنة» على «أجنة» .

٤- استعمال كلمة «بيت الراحة» بمعنى مكان قضاء الحاجة ، كما وردت فى المخطوطات الموجودة بمكتبة دير القديس مكاريوس .

٥- استعمال كلمة «ثقيل» بمعنى جندى مدجج بالسلاح . وقد ورد ذلك فى وثائق البردى .

٦- استعمالهم كلمة «أسباطة» (تحرفت الآن إلى سباطة) بمعنى العذق أو القنو . وعلى الرغم مما قيل عن أصلها اليونانى فإن صلتها الظاهرة بمادة «سبط» العربية تجعلنا نقول بعربيتها . ومن معانى هذه المادة : السَّبَط : الشجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد ، والسِّبْط ولد الولد والقبيلة .

٧- وهناك بعض تعبيرات مصرية وردت إشارات خاطفة إليها فى مؤلفات كراع النمل اللغوى المصرى الذى مات فى القرن الرابع الهجرى ومنها : رف الحاجب : اختلج - فش القفل : فتحه بغير مفتاح - فحم الصبى : بكى حتى ينقطع صوته[١] .

- ٣ -

وأما آثار اللهجات العربية فى مستوى الخطاب العادى أو اللغة الدارجة فأكثر من أن تحصى ، وتعتبر اللهجات العربية - بلا شك - المصدر الرئيسى لها . وإنه لمن السهل جدا رد كثير من خصائصها إلى أصول عربية ، سواء احتفظ بهذه الأصول كما هى ، أو لحقها تعديل وتغيير . ومن أهم تلك الآثار :

---

(١) انظر المنجد فى اللغة ص ١٣٦ و ١٣٧ و ١٨٦ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٠ لغة .

أولا : فى مجال الأصوات :

نضيف إلى الأمثلة السابقة فيما مضى ما يأتى :

١- كسر حرف المضارعة - ماعدا همزة المتكلم لخوف اختلاط صيغة المضارع بصغية الأمر - مثل يِكتب - تِكتب - نِكتب . وظاهرة الكسر هذه معروفة فى تاريخ اللهجات العربية ، واطردت فى بعض اللهجات القديمة .

٢- إبدال القاف همزة فى القاهرة وبعض حواضر الوجه البحرى . ولذلك أصول قديمة على ما قرره أنوليتمان فى بحثه «بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى» . وهو موجود فى أسماء الأعلام الفينيقية . وقد نقل السيوطى تصوأ بمعنى تصوق (أى توسخ) وذكر الأب أنستاس : أفز بمعنى قفز واستنشأ بمعنى استنشق ... إلخ . وعلى الرغم من أن مخطوطات دير القديس مكاريوس لاتعبر عن صوت القاف برمز الهمزة فليس فى ذلك دليل على عدم حدوث هذا التطور فى العصور السيحقة ، فإن لغة هذه المخطوطات - برغم ما فيها من مسحة عامية - خليط من العامية والفصحى . وقد التزم كاتبها - فى كثير من الأحوال - الاتجاه الفصيح مفضلا إياه على الجانب العامى .

٣- حذف نون «من» و «عن» إذا وليهما ساكن مثل مِالبيت عالبيت . وتلك خاصة من خواص خثعم وزبيد من قبائل كهلان اليمنية .

٤- النطق الصعيدى لصوتى القاف والجيم يعكس اتجاها بدويا كما سبق أن ذكرنا .

٥- النطق القاهرى لصوت الجيم له أصل عربى فى اللهجات العربية القديمة كما سبق أن ذكرنا .

ثانيا : فى مجال النحو والصرف :

١- إلغاء الإعراب كما سبق أن فصلنا .

٢- قرن الباء بحرف المضارعة كقولهم باكتب وبيكتب ... واستخدام هذه الباء مع المضارع قديم جدا فى اللغات السامية ، فقد وردت فى نقوش كنعانية من شمالى سورية ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

٣- لصق نون وقاية باسم الفاعل المضاف إلى ياء المتكلم مثل ضاربنى وفاهمنى . وقد ورد هذا فى الحديث النبوى «فهل أنتم صادقونى» ، كما ورد فى الشعر القديم .

٤- الاستغناء عن صيغة س ع / س ع / س ع فى الماضى المعتل الآخر بالياء مثل بقى ، والاستعاضة عنها بصيغة س ع / س ع ع مثل بَقَا . وقد تردد ذلك كثيرا فى أوراق البردى العربية وله أصل فى اللغة .

٥- قطع اللفظ قبل تمامه ، وهو من لهجة طىء ويسمى «القطعة» ويرد هذا فى كثير من اللهجات المصرية فيقول بعضهم : النهار طل (أى طلع) والنور ظه (أى ظهر)[١] .

ثالثا : فى مجال المفردات :

الأمثلة كثيرة للكلمات المحرفة عن أصل عربى أو التى ترجع إلى لهجة عربية معينة . ومن ذلك :

١- كلمة «جلّبية» المحرفة عن جلباب .

---

(١) انظر الأدب العربى فى مصر لمحمود مصطفى ص ٢٦ نقلا عن مميزات لغة العرب لحفنى ناصف .

٢- «مترد» التى يكثر استعمالها فى الريف . وهى تحريف لكلمة «مثرد» اسم المكان من الفعل ثرد . يقال : ثردت الخبز ثردا كسرته فهو ثريد ومثرود .

٣- «نبُوت» التى تعنى الفرع النابت من الشجر ، وتطلق - كما نص صاحب التاج - على العصا المستوية فى لغة المصريين .

٤- «إيش» التى ترددت كثيرا فى الوثائق البردية ومخطوطات الأقباط بمعنى أى شىء . وهو مخفف منها كما نص عليه ابن السيد فى «شرح أدب الكاتب» ، وصرحوا بأنه سمع عن العرب .

٥- كلمة «ست» التى سبق الحديث عنها .

٦- قول «مدشوش» ، واللفظ أصل عربى كما سبق أن ذكرنا .

٧- استعمال لفظ «امبارح» الذى يبدو أنه النطق الحميرى للفظ «البارحة» بإبدال اللام ميما . وعليه جاء الحديث النبوى : ليس من امبر امصيام فى امسفر (ليس من البر الصيام فى السفر) . ويرى أنوليتمان أن هذا ليس إبدلا وأن «أم» أداة تعريف مستقلة .

٨- استعمال كلمة «بح» للأطفال خاصة بمعنى انتهى أو لم يبق . وأصله بحباح . ففى لسان العرب : قال اللحيانى : زعم الكسائى أنه سمع رجلا من بنى عامر يقول : إذا قيل لنا أبقى عندكم شىء ؟ قلنا : بحباح ، أى : لم يبق .

٩- استعمال كلمة «ريت» بدلا من ليت . والتبادل بين الراء واللام مشهور فى كتب اللغة . وروى أن بنى قيس كانوا يقولون رَعلّ فى لعل .

١٠- قول المصريين «لأ» فى «لا» ، ومن تميم من يقلب ألف المقصور همزة فى الوقف .

الفصل الخامس

مؤثرات أخرى

إلى جانب العاملين السابقين وجدت عوامل أخرى كان لها تأثير ثانوى على عربية مصر ، وتتمثل فى :

١- عامل النزوع نحو السهولة وتوفير الجهد [١] .

٢- عامل اللامبالاة .

٣- عامل الاقتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية ، مثل اللاتينية والفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية .

* * *

أما فى المستوى الأول فلا تظهر بوضوح آثار هذه العوامل ، كما لم تتضح آثار العاملين الأولين . ولا يوجد اختلاف جوهرى بين كتابات هذا المستوى فى مصر ومقابله فى البلاد العربية الأخرى . والسبب يتمثل فى الحقيقة التى كان مسلما بها فى تلك الفترة وهى أن اللغة العربية النموذجية تتمثل فى القرآن والأحاديث النبوية ، وفى الشعر والنثر التقليديين . وقد أدى هذا بالكتاب والشعراء والأدباء إلى أن يحاولوا محاكاة هذه النماذج الأدبية ، وأن يكون غاية مايرجوه

---

(١) منذ عصر مبكر اختلف المفكرون هل كانت اللغات تجنح إلى السهولة أم إلى التعقيد . وعلى رأس الفريق الأول اللغوى الأمريكى Whiteney الذى يقرر أن كل ما نكشفه من تطور فى اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذى يبذل فى النطق . (انظر الدكتور أيوب : التطور اللغوى ص ٣٩ و ٤٠) .

الواحد منهم أن يتبع تقاليدها حرفيا . وعلى الرغم من هذه الحقيقة ، ومن المحاولات الصادقة للأدباء ألا يحيدوا عن الأسلوب الراقى والمستوى الأدبى النموذجى ، فإن الفحص الدقيق لتلك الأساليب يكشف عن أخطاء ومخالفات للتقاليد الكتابية ، ولكنها - والحق يقال - تبدو ضيئلة جدا . ومن ذلك قول ابن الداية : لم يبق لى إلا جاريةٌ .. ومنزلا ، والصواب «ومنزل» . ومن طريف ما يروى فى ذلك أن الفضل بن عباس دخل على كافور الإخشيدى وعنده أبو إسحاق النجيرمى فقال له : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ ، بجر الأيام ، فابتسم كافور إلى أبى إسحاق النجيرمى فقال أبو إسحاق على الفور :

لاغرو أنْ لحن الداعى لسيدنا ... وغص من هيبة بالريق والبهر

فإن يكن خفض الأيام عن دهَش ... من شدة الخوف لا من قلة البصر

فقد تفاءلت فى هذا لسيدنا ... والفأل نائره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن دولته صفو بلاد كدر

فأمر له كافور بثلثمائة دينار ولابن عباس بمثلها .

ومن الكلمات المقترضة :

١- كلمة جسطال أو قسطال التى تعنى حاكم مصر ، ثم استعملت فى معنى حاكم مقاطعة أو مديرية . وقد ترددت كثيرا فى وثائق البردى بما فيها رسائل قرة بن شريك المبكرة . وقد ذكر جروهمان أنها مقترضة من أصل يونانى أو لاتينى .

٢- كلمة مازوت وجمعها موازيت التى وردت فى المؤلفات العربية واستعملها المقريزى فى الخطط إذ قال : «نُزعت موازيت القبط عن الكور واستعمل

المسلمون عليها» . ومعناها بالتعبير الحديث عمدة القرية أو حاكم المدينة . وقد ذكر جروهمان أن أصلها يونانى أو لاتينى .

٣- كلمة «الكورة» وتعنى القرية أو المحلة أو المدينة ، وهى كلمة مقترضة كذلك وترددت فى رسائل قرة بن شريك .

ويبدو أن هذه الألفاظ - وربما غيرها - كانت خاصة بالرسائل الرسمية أو بلغة الإدارة .

٤- كلمة «ديوانيان» التى استعملها ابن الداية فى المكافأة بمعنى حافظ الديوان وذلك فى قوله : «فتدسس الديوانيان حتى دخل فى جملتهم» . وواضح أن هذه الصيغة ليست عربية .

* * *

وأما المستويان الثانى والثالث - وسندمجهما فى هذا الفصل - فيظهر فيهما بوضوح آثار هذه العوامل سواء فى مجال الأصوات أو النحو والصرف أو المفردات .

أولا : فى مجال الأصوات :

من أمثلة ذلك :

١- إبدال الذال زايا الذى يبدو أنه لايمثل عنصرا لهجيا أصيلا ، وإنما هو استخفاف فى كيفية النطق وبذل جهد أقل .

٢- إبدال الظاء ضادا مثل «احفض» بدلا من احفظ التى وردت فى وثائق البردى .

٣- وقد ورد فى بعض وثائق البردى إبدال الضاد طاء مثل «محطره» بدلا من محضره و «فطله» بدلا من فضله .

٤- قلب الزاى دالا كما فى كلمة جزاء التى كتبت فى الوثائق البردية «جِدًى» .

٥- التخلص من حرف العلة المزدوج عن طريق تحويله إلى حرف علة طويل . ومن أمثلة ذلك «بَيْت» التى تحولت إلى «بِيت» .

٦- الإدغام بعد قلب أحد الصوتين المتقاربين إلى صوت مماثل مثل «بعتّ» فى مكان بعثت التى وردت فى وثيقة بردية كتبت فى سنة ٢٧٨ هـ .

٧- فك ياء النسب المشددة والاستعاضة عنها بياء مد مثل «الشِقى» بدلا من الشقىّ ، وقد كتبت الكلمة فى مخطوطات دير القدير مكاريوس هكذا .

ثانيا : فى مجال النحو والصرف :

التغيرات فى هذا المجال كثيرة جدا ومتنوعة . ومن أهمها :

١- أخطاء فى الإعراب مثل : فهذا قياسا ومثلا - لايتركون أحد - لئلا ينظران - كان لسليمان عبدا .

٢- خلق صيغ صرفية جديدة لا وجود لها فى العربية الكلاسيكية مثل صيغة اتفعّل مكان تفعل . ومن أمثلة ذلك «اتجسد» (تجسد) و «اتوكل» و «اترجا» ، أو نقل فعل من صيغة إلى صيغة أخرى مثل استعمال الفعل اتّلىَ بدلا من الفعل تولى ، وأورى بدلا من الفعل أرى .

٣- أخطاء فى باب العدد مثل تسعة ساعات (تسع) ، أربعة عشر ليلة (أربع عشرة) ، اثنا عشر سنة (اثنتا عشرة) ، بعد مائة اثنين وستين (واثنتين) .

٤- وضع الذى مكان التى مثل : الأموال الذى شرحتها - ثيابه الذى .

٥- استعمال اسم الإشارة استعمالا خاطئا مثل : أربع الدراهم هذا .

٦- تحويل صيغة الأمر فَعِّل إلى فَـعَّل بقصد تحقيق المماثلة وتوفير الجهد مثل خيَّطها بدلا من خيطها .

٧- إعادة الضمير مجموعا على غير العاقل الجمع كقول السمنودى فى مقدمة كتابه فى نحو اللغة القبطية : كتب الله المستعملة فى الكنيسة - وما ينضاف إليهم ، وكقول مخطوط مكتبة دير القديس مكاريوس : الأعمال كلهم .

ثالثا : فى مجال المفردات :

استعملت كلمات كثيرة لها أصول أجنبية مختلفة ، كما حرفت كلمات أخرى عن صورتها الأصلية أو معناها الأصلى . فمن النوع الأول :

١- كلمتا «دغرى» و «بُرش» وهما من أصل تركى .

٢- كلمة «شوشة» وهى موجودة فى السريانية بصيغة شُشا ومعناها كُبة قطن .

٣- كلمة «قَلاّية» بمعنى بيت الأسقف أو بيعة النصارى . وهى كلمة لاتينية بمعنى خلوة ، ثم أخذها السريان فصارت قليتا ، ثم أخذها العرب فقالوا قلاّية وجمعوها على قلالى .

٤- كلمة «روزنامج» بمعنى دفتر اليومية المأخوذة عن الفارسية : «روزنامجه» أو «روزنامه» .

٥- كلمة «سفتجة» بمعنى إيصال وهى فارسية .

٦- كلمة «اسبيذاج» المأخوذة من أصل آرامى ، ومعناها رماد الرصاص .

٧- كلمة «بوش» بمعنى عديم الجدوى أو خال ، وهى أصلا تركية .

٨- كلمة «زير» للإناء الفخارى المعروف ، وأصلها أكادى ثم انتقلت إلى الآرامية ثم العربية .

٩- كلمة «ستل» أو «سطل» نحاس ، وهى مستعارة من اللاتينية .

١٠- كلمة «أوسية» بمعنى مزرعة .

١١- كلمة «تربيزة» من اليونانية .

١٢- كلمة «كارافاته» من الفرنسية .

١٣- كلمة «روبابكيا» من الإيطالية [١] .

١٤- كلمة «كانى ومانى» من التركية [٢] .

١٥- كلمة «يادوب» من الفارسية [٣] .

ومن النوع الثانى :

١- كلمة «بعزأ» التى ترجع إلى الأصل العربى بعثق . ففى اللسان : البعثقة خروج الماء من الحوض . وتبعثق إذا انكسرت منه ناحية ففاض منها .

٢- كلمة «حيَطٌ» فى قولهم «حيط حائطا» المحرفة عن حوط . ومثله كلمة «المغاير» المحرفة عن المغاور .

٣- استعمال الكلمة فى معنى جديد مثل كلمة «تَملىّ» التى وردت فى البرديات بمعنى دائما أو باستمرار ، وهو نفس معناها العامى الحديث .

٤- قولهم جمادى الآخر بدل الآخرة . ولا زال هذا التعبير شائعا حتى يومنا هذا .

٥- استعمال كلمة «دعوة» فى معنى دعوى أو قضية . وقد ورد ذلك فى وثائق البردى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن كتاب وثائق البردى كانوا فى بعض الأحيان يستعملون اختصارات فى الكتابة تحل محل كلمة أو أكثر . ومن ذلك :

---

(١) انظر : Ehe Coptic Influence ص ٨ .

(٢) المحكم لأحمد عيسى ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) السابق ص ٢٥٠ .

واعن اختصار وأدى عن

أب اختصار أرادب

ولب اختصار وطالب

به اختصار بتاريخه

كذلك مما تجدر الإشارة إليه أن الأخطاء الإملائية فاشية جدا فى هذا البرديات وفى غيرها من كتابات الأقباط . ومن أمثلة ذلك :

١- كتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة كثيرا مثل سنت «سنة» ، امرأت (امرأة) ، ابنت (ابنة) ، المسمات (المسماة) .

٢- كلمة شىء كثيرا ما كتبت «شاى» وهذا من الكتابة الغريبة .

٣- كتابة ذلك وهذا وهذين بالألف .

٤- عدم كتابة ألف أمام واو الجماعة .

٥- كتبت الكلمة بطء هكذا : بطؤ وذلك فى وثائق البردى .

٦- كتابة الياء ألفا مثل ادعا - فمتا - كفا - تقوا - المسما - الأخرا .

٧- وصل أكثر من كلمة مثل كتبفى (كتب فى) ، وكتبشهادته (وكتب شهادته) ، وذلكفى (ذلك فى) ، بكلما (بكل ما) .

وهناك إلى جانب ذلك تعبيرات عليها مسحة العامية استعملت فى الوثائق البردية مثل :

١- ويبة واحدة قمح بدلا من : ويبة قمح واحدة أو ويبة واحدة من القمح .

٢- وقد شلناه إلى دكان السمسار بدلا من حملناه أو نقلناه .

٣- وديت لك بدلا من أديت إليك أو أرسلت إليك .

٤- نسيت أذكر لك .

٥- وكانوا الخراسانيين قد جابوا مراكب عدة .

٦- صلينا على حافة البحر فى الغيط .

خاتمة

دراسة مقارنة

مدى التأثير المتبادل بين القبطية والعربية

والآن .. وقبل أن نضع القلم نحب أن نتعرض لقضية أخرى يحلو لكثير من الدارسين أن يخوضوا فيها ، وهى قضية تأثير العربية على القبطية ، ومقارنته بتأثير القبطية على العربية .

ولن نشتط نحن فى الحكم فنعطى أحكاما جزافية أو بالجملة ، أو نقول عن العربية ما قاله الدكتور صبحى عن القبطية من أنها سبب اختلاف عربية مصر – وبخاصة عاميتها – عن سائر العربيات ، وما ادعاه من أن مفردات عامية مصر مليئة بأعداد ضخمة من الكلمات ذات الأصل المصرى القديم أو القبطى بدرجة تثير الدهشة والعجب . ولكننا سنعرض القضية عرض منصف يلتزم الحياد ، ويهمه تصوير الحقيقة .

لقد سبق أن تعرضنا بالتفصيل لقضية التأثير القبطى على عربية مصر ، وخرجنا بنتيجة محددة هى انحصار هذا التأثير فى جانب المفردات فقط . وحتى فى هذا الجانب وجدنا التأثير ضيقا لايتجاوز بضع عشرات من الكلمات . وليس هذا فحسب ، فقد وجدنا أن قوائم هذه الكلمات مليئة بألفاظ يونانية تسرب بعضها إلى العربية عن طريق القبطية ، وبعضها عن طريق مباشر ، وبعضها فى بلد آخر غير مصر . وربما كانت ضآلة عدد الكلمات القبطية وحدها الموجودة فى عربية مصر هى السبب المباشر الذى حدا بالدكتور جورجى صبحى وغيره أن يدمجوا فى قوائمهم الكلمات القبطية واليونانية حتى يبدو الأثر قويا . ومعنى هذا أننا لو نحينا جانبا مثل هذه الكلمات ، وردنا الكلمات ذات الأصل العربى إلى أصولها ، واستبعدنا أسماء الأعلام نهائيا ، لانكمش الرقم جدا ، ولم يبق عندنا شىء ذو بال .

ونضيف إلى هذا أن الدراسات اللغوية القبطية لم تترك أى آثار على الدراسات اللغوية العربية فى مصر . ويبدو أن الأقباط لم يكن لهم دراسات لغوية قديمة ذات شأن ، وإلا انعكس أثرها على لغويى مصر المتقدمين ، وظهرت ملامحها فى كتب النحو واللغة القبطية التى تتابع ظهورها بعد القرن الحادى عشر الميلادى .

فإذا نحن انتقلنا إلى الجانب الآخر من القضية وأردنا أن نسجل آثار العربية على القبطية ، وجدناها كثيرة ومتنوعة كما يلى :

١- صرح الأستاذ William Worrell المتخصص فى الدراسات القبطية بأن العربية هى التى تركت آثارها على القبطية وليس العكس ، وأن الأصوات القبطية قد انحلت تحت ضغط الأصوات العربية ، وأن فكرة كتابة القبطية بحروف عربية[١] قد أدت ولاشك إلى اختفاء الأصوات القبطية التى لم يمكن أن تمثلها حروف عربية لعدم وجودها [٢] . وصرح فى موضع آخر بأن الأقباط الذين كانوا يتكلمون العربية ، لابد أن تكون لغتهم القبطية قد تعربت [٣] .

٢- فحص Worrell بعض الوثائق القبطية المكتوبة بحروف عربية وانتهى إلى نتيجة فحواها أن لغة هذه الوثائق «يظهر بوضوح كاف وقوعها تحت تأثير العربية لدرجة أنها لايمكن أن يعتمد عليها فى دراسة الأصوات القبطية ، وأن حروف العلة فيها هى تلك الموجودة فى العربية[٤] .

---

(١) عثر على نص قبطى مكتوب بحروف عربية نشره Galtier عام ١٩٠٦ . انظر W. worrell فى كتابه Coptic Sounds ص ٢ و ٥ و ١ .

(٢) Coptic Sounds ص ٦ ، و Coptic Influence ص ٣ .

(٣) المرجع ص ١٢٢ .

(٤) المرجع والصفحة السابقان .

٣- نشر Chassiant أوراقا بردية طبية قبطية كتبت فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين عثر عليها قرب إخميم . وقد لوحظ أنها تشتمل بكثرة على مصطلحات عربية كتبت بحروف قبطية وأحيانا بحروف عربية . كما لوحظ أن كاتب هذه الأوراق كثيرا ما كان يفضل استعمال المصطلح العربى على مقابله القبطى أو اليونانى [١] .

٤- قارن «اميلينو» بين وثيقتين قبطيتين ، كتبت الأولى فى ولاية عبدالعزيز بن مروان ، والثانية فى القرن الثالث عشر الميلادى فى عصر الملك الكامل ، وحكم بأن «لغة الوثيقة الأولى لغة العصور المزدهرة وليس فيها ما يشعر بالاضمحلال» . أما الثانية فتدل على أن «اللغة القبطية قد أصابها الفساد حيث أدخلت فيها كلمات عربية . ولما كان المؤلف يخطىء فى التعبير فقد كان فهم الوثيقة من الأمور الصعبة» [٢] .

٥- عثر على قصة قبطية مكتوبة فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى . وقد ظهر فيها بوضوح ضعف المؤلف فى اللغة القبطية ، واستعماله لكلمات عربية كثيرة [٣] .

٦- عثر على قصيدة قبطية تعالج موضوعات دينية تهذيبية وترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، وقد كتبت بلهجة قبطية صعيدية . وقد عقب Worrell على القصيدة بقوله «اللغة بوجه عام مفتعلة . وأسوأ من هذا فالأبيات منظومة على الطريقة العربية» [٤] .

---

(١) دائرة المعارف Kibt .

(٢) جاك تاجر ص ٣٠٦ .

(٣) دائرة المعارف Kibt .

(٤) A Short Account ص ٤٧ .

٧- أما آثار الثقافة العربية على مفكرى الأقباط فكثيرة ومتنوعة ، ومن أمثلتها :

(أ) انعكاس الثقافة الإسلامية حتى فى كتابات الأقباط الدينية . وأقرب مثال لذلك كتاب الصفى بن العسال المسمى «بالمجموع الصفوى» الذى يتناول فقه المذهب الأرثوذكسى . وواضح فى هذا الكتاب تأثر المؤلف بالفقه الإسلامى فى تقسيم الكتاب إلى قسمين ، عبادات ومعاملات ، وفى عناوين أبوابه ، وحتى فى تقريره للأحكام . وإليكم النص التالى الذى يوضح هذه الفكرة ، وهو عن آداب القاضى : ويساوى بين الخصمين فى الدخول والجلوس والإقبال عليهما والإنصات إليهما والمخاطبة لهما والعدل فى الحكم لهما أو عليهما . ولا يساور (كذا) أحدهما . ولا يلقنه حجة ، ولا يختصمه ، ولا يحتج له ولو كان قويا وضعيفا ومشروفا وشريفا حتى لايطمع شريف فى حيفه ولا ييأس ضعيف من عدله»[١] . ومثال آخر من كتاب «سير الآباء البطاركه» لسعيد بن بطريق . فمن يقرأ مقدمته يلاحظ إطالة التحميد والدعاء على نحو ما جاء فى أساليب المسلمين ، والحرص على السجع والجناس ، واستخدام مصطلحات إسلامية مثل : عز وجل ، والمنفرد بالوحدانية ...

(ب) تأثر النحاة الأقباط فى كتبهم النحوية بمجهودات العرب فى ذلك . وأنت تخرج بهذه النتيجة بعض تصفحك لكتب النحو القبطية المتقدمة ، حيث

---

(١) المجموع الصفوى ص ٣٦٤ . كما أن للصفى مجموعة خطب دينية استخدم فيها السجع على نظام الخطب الإسلامية . ومما جاء فيها : نحمده حمدا يهدينا إلى رشده فى الغدو والرواح ، ونشكره بالألسنة الفصاح ، والعقائد الصحاح ، ونتوسل إليه بكرمه ، فهو معدن الجود والسماح ، ونرغب إليه بفضله فهو أهل الفضل الأثيل المباح .

تجد تشابها عجيبا بين المنهجين . فالكلمة عند ابن كاتب قيصر تنقسم إلى اسم وفعل وحرف . والاسم هو الذى يخبر به أو يخبر عنه ، وهو ما دخله أحد أدوات التعريف أو التنكير أو التذكير أو التأنيث أو الجمع وما أشبه ذلك ... والحرف مادل على معنى فى غيره ولم يستقل بنفسه ، ولايخبر به ولا يخبر عنه ... ومنها الحروف التى تدخل على المبتدأ والخبر وهى إن وأخوتها ... إلخ . هل تصدق أنك تقرأ فى كتاب يعالج نحو اللغة القبطية ؟ .

ولم يكن هذا سبيل ابن كاتب قيصر وحده ، بل كان سبيل النحاة جميعا حتى ضاق بهم مؤلف قبطى آخر اسمه الشيخ الوجيه القليوبى ، فقال فى مقدمة كتابه المسمى «بالكفاية» : «وقد وضع فى ذلك (النحو القبطى) مقدمات ، إلا أن المفسرين لغلبة أحكام تصريف اللغة العربية عليهم قاسوا أكثر أحكام القبطى عليها . وليس الأمر كذلك ، بل من شرط المخرج من لغة إلى أخرى أن يجرد ذهنه عن اللغة الغالبة ، ويذهل عنها ، ثم يذوق اللغة المخرجة ، ويستحضر جميع أجزائها ، ويستقرى مواضع استعمال أدواتها» .

٨- وأخيرا يكفينا فى مجال الموازنة أن نذكر القارىء بما سبق أن قررناه من هزائم اللغة القبطية المتكررة أمام هجمات العربية ، وفقدها قلاعها واحدة بعد الأخرى ، فما أن جاء القرن العاشر الميلادى حتى كانت قد اهتز عرشها وثلت أركانها وأصبحت لغة ميتة أو شبه ميتة ، وليس يفوق الموت شىء آخر . وقد سبق أن ناقشنا مراحل احتضار اللغة القبطية وأقمنا الأدلة على موتها المبكر . ونضيف الآن ما يأتى إلى ما سبق :

(أ) أن كتب النحو القبطى المؤلفة بلغة عربية بدأت تظهر فى القرن الحادى عشر الميلادى . وقد بدأها أثناسيوس أسقف مدينة قوص ، وتلاه مؤلفون آخرون مثل ابن كاتب قيصر والشيخ الوجيه القليوبى والمؤتمن ابن العسال وابن الدهيرى والسمنودى . وواضح أنها جميعا وضعت لخدمة القارىء الذى يعرف العربية ويريد أن يتعلم القبطية . ولذا فهى تتخذ المثال العربى أصلا ثم تشير إلى مقابله فى القبطية .

(ب) عثر فى بعض الأديرة على مخطوطات قبطية قديمة مليئة بحواش وإضافات باللغة العربية مثبتة على جوانب المخطوطات . ومعنى هذا أن معظم الرهبان ورجال الدين كانوا قد تعلموا القبطية كلغة ميتة أو لغة ثانية ، وأنهم كانوا يفضلون إثبات تعليقاتهم بلغتهم الأولى ، وهى العربية.

(جـ) من الثابت قطعا أنه فى أوائل القرن العاشر تمت ترجمة «سيرة جون الصغير» إلى السريانية من النص العربى وليس من الأصل القبطى .

(د) أنه بجرد مكتبة دير القديس مكاريوس لوحظ أنها فقيرة جدا إلى مخطوطات تنتمى إلى القرون ما بين الحادى عشر والثالث عشر . وقد فسر المستشرق H. White فى مقدمة كتابه : The Monasteries of the Wadi'N Natrun ذلك بقوله : «هذا التدهور يعود إلى حد ما إلى زهد الناس فى قراءة الأدب الدينى ، وإلى حد أكبر إلى أن اللغة القبطية كلغة حية كانت قد وقعت فى هذه الفترة فريسة بين مخالب اللغة العربية».

(هـ) كذلك لوحظ أن القسم العربى من المكتبة كبير جدا مثل القسم القبطى أو أكبر منه . وقد رجح White أن يكون رهبان الدير قد فضلوا فى

قراءاتهم القراءة باللغة العربية ، وإن كانوا قد احتفظوا بالقبطية فى قداساتهم الكنيسية .

(و) عثر ضمن مخطوطات مكتبة الدير السابق الإشارة إليه على معاجم أو قوائم بالألفاظ هدفها مدّ يد العون لقارىء العهد الجديد باللغة القبطية .

(ز) عثر فى نفس المكتبة على بقايا لعشر قوائم تعطى المقابلات العربية للكلمات القبطية (أو اليونانية) المتعلقة بالكتاب المقدس والطقوس الدينية ، يرجع معظمها إلى القرن الثالث عشر الميلادى . والملاحظ أنها كلها معاجم قبطية عربية ، ولايوجد من بينها معاجم عربية قبطية[١] .

(ح) أن نشاط اللغويين الأقباط المتقدمين أمثال إخوة العسال وابن كبر لم يتم بهدف تيسير تعليم الشعب اللغة ، بل بهدف تزويده بمساعد يعينه على فهم لغة القداس وطقوس العبادة .

(ط) أن آخر محاولة بذلت لإحياء اللهجة القبطية الصعيدية تمت فى القرن العاشر الميلادى حيث ظهرت مؤلفات كثيرة اشتملت على نماذج كلاسيكية للأدب الصعيدى والإنجيل وسير القديسين والشعائر الدينية . ثم لم تتم محاولات بعد ذلك .

فلعل القارىء يكون قد تبين الآن بنفسه خطأ ما ردده الدكتور صبحى عن شدة تأثير القبطية على العربية وما ادعاه من أن آثار القبطية فى العربية أكثر من آثار العربية فى القبطية . فقد ظهر أن لاوجه للمقارنة مطلقا ، بالإضافة إلى تمكن اللغة العربية من القضاء على القبطية ، وليس بعد الموت أثر يفوقه .

---

(١) انظر ص ٢٢٢ . The Monasteries of the Wadi'N Natrun, Part I.

ولن نجد ما نختم به بحثنا خيرا من قول الدكتور ولسن بشاى : «ومهما يقل عن آثار اللغة القبطية التى تركتها على اللغة العربية عندما كانت اللغتان مستعملتين جنبا إلى جنب ، وكانت اللغة القبطية قوية ، وذلك خلال المرحلة الأولى من الصراع ، فإن هذه الآثار لابد وأن تكون قد زالت أو تلاشت تماما حينما اختفت اللغة القبطية من الوجود كلغة متكلمة وحلت محلها اللغة العربية» .

* * *

وبعد : فإن قصة اللغة العربية واستقرارها فى مصر من القصص الفريدة التى لاتتكرر كثيرا فى التاريخ . ويكفى أن نعلم أن مصر قد تتابع عليها حكام أجانب على امتداد تاريخها الطويل من هكسوس وآشوريين وفارسيين ويونان ورومان دون أن يتمكن أحد منهم من فرض لغته على مصر ، والقضاء على اللغة الوطنية المصرية تماما ، إلى أن جاء العرب فتمكنوا من فرض لغتهم وإحلالها محل القبطية . وما أن تمكنت اللغة العربية فى مصر حتى رسخت رسوخ الجبال، وقاومت هجمات الاستعمار المتنوعة ، واستطاعت أن تصمد أمام تيار الغزو الأجنبى ، سواء كان تركيا أو فرنسيا أو إنجليزيا ، وظلت – ولن تزال – لغة مصر حامية العروبة .

مراجع القسم الأول

أولا : المراجع العربية

١- أحسن التقاسيم ، المقدسى ، «بريل» ١٩٠٦ .

٢- أخبار سيبويه المصرى ، ابن زولاق ، ط أولى ١٩٣٣ .

٣- الأدب العربى فى مصر ، محمود مصطفى - دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

٤- الأدب العربى فى مصر ، دكتور عبدالرزاق حميدة ، مصر ١٩٥١ .

٥- الأدب القبطى قديما وحديثا ، محمد سيد كيلانى ، ط أولى ١٩٦٢ .

٦- الأساس المتين فى ضبط نطق لغة المصريين ، عبدالمسيح المسعودى ، ط مصر.

٧- أصول الكلمات العامية . حسن توفيق ، مصر ١٨٩٦ .

٨- أقباط ومسلمون ، دكتور جاك تاجر ، مصر ١٩٥١ .

٩- أهل الذمة فى الإسلام ، أ . س . ترتون ، ترجمة حسن حبشى ، دار الفكر ١٩٤٩ .

١٠- بقايا اللهجات العربية ، دكتور أنوليتمان ، مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٤٨ .

١١- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، المقريزى ، تحقيق الدكتور عبدالمجيد عابدين ، ط أولى ١٩٦١ .

١٢- البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون ط أولى .

١٣- تاريخ ابن الراهب ، بيروت ١٩٠٣ .

١٤- تاريخ الأقباط ، زكى شنودة ط أولى ١٩٦٢ .

١٥- تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطى ، ط ثانية ١٩٢٢ .

١٦- تاريخ الأمية القبطية ، أ . ل . بتشر ، ترجمة اسكندر تادرس ، الفجالة ١٩٠١ .

١٧- تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ، أكسفورد ١٩٨٤ .

١٨- تاريخ العرب قبل الإسلام ، دكتور جواد على ، ط المجمع العلمى العراقى .

١٩- تاريخ اللغة العربية جورجى زيدان ، القاهرة ١٩٠٤ .

٢٠- تاريخ مصر الإسلامية الجزء الأول للدكتور جمال الدين الشيال ط دار المعارف ١٩٦٧ .

٢١- تاريخ يحيي بن سعيد الأنطاكى ، ١٩٢٤ .

٢٢- التطور اللغوى ، دكتور عبدالرحمن أيوب .

٢٣- تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، طوبيا العنيسى ، ط ثانية ١٩٣٢ .

٢٤- التكملة فيما تلحن فيه العامة ، الجواليقى ، ملحق بلف القماط .

٢٥- تهذيب الألفاظ العامية ، محمد على الدسوقى ، ١٩١٣ .

٢٦- حسن المحاضرة ، السيوطى ، القاهرة ١٣٢١ هـ .

٢٧- حضارة مصر فى العصر القبطى ، دكتور مراد كامل ١٩٦٨ .

٢٨- حياة النثر فى مصر ، دكتور بهى الدين محمد زيان ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب ، جامعة القاهرة .

٢٩- الخطط ، المقريزى ، بولاق ١٢٧٠ هـ .

٣٠- الدخيل فى اللغة العربية ، دكتور فؤاد حسنين ، مجلة كلية الآداب .

٣١- دراسة الصوت اللغوى ، دكتور أحمد مختار عمر - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ .

٣٢- دلالة الألفاظ العربية ، دكتور مراد كامل ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ .

٣٣- الرسالة ، الإمام الشافعى ، تحقيق أحمد شاكر ، ط أولى ١٩٤٠ .

٣٤- رسالة الكلمات الغير العربية ، حمزة فتح الله ، بولاق ١٩٠٢ .

٣٥- السلم الكبير ، ابن كبر ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .

٣٦- السلم المقفى ، ابن العسال ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .

٣٧- سير الاباء البطاركة ، سويرس بن المقفع ، باريس ١٩٠٧ وما بعدها .

٣٨- شخصية مصر ، دكتور جمال حمدان ، الجزء الثانى - عالم الكتب القاهرة ١٩٨١ .

٣٩- صبح الأعشى ، القلقشندى ، ط دار الكتب .

٤٠- العربية ، يوهان فوك ، ترجمة دكتور عبدالحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١ .

٤١- فتح العرب لمصر ، ألفرد بتلر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، دار الكتب ١٣٥١ هـ .

٤٢- فى الأدب المصرى الإسلامى ، دكتور محمد كامل حسين .

٤٣- فى اللهجات العربية ، دكتور عبدالحليم النجار ، مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٥٣ .

٤٤- قبائل العرب فى مصر ، أحمد لطفى السيد ، ط أولى .

٤٥- القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دكتور عبدالله خورشيد البرى - دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

٤٦- قواعد اللغة المصرية القبطية ، دكتور جورجى صبحى ، ١٩٢٥ .

٤٧- قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى ، دكتور عبدالمحسن بكير ، ط أولى.

٤٨- كتاب البرهان ، سعيد بن بطريق ، ١٩٦٠ .

٤٩- كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، سعيد بن بطريق ، بيروت ١٩٠٥ .

٥٠- لحن العوام ، الزبيدى، تحقيق دكتور رمضان عبدالتواب ، ط أولى ١٩٦٤ .

٥١- لسان العرب ، ابن منظور ، ط بيروت .

٥٢- اللغة القبطية ، جرجس فليوثاؤس عوض ، مصر ١٩١٦ .

٥٣- لف القماط ، محمد صديق خان ، ط الهند .

٥٤- المتوكلى ، السيوطى ، دمشق ١٣٤٨ هـ .

٥٥- المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول للدكتور شكرى فيصل ١٩٥٢ .

٥٦- المجلة القبطية ، جرجس فيلوثاؤس عوض .

٥٧- المجموع الصفوى ، ابن العسال ، تحقيق جرجس فيلوثاؤس عوض ، ط أولى.

٥٨- مجموعة الألفاظ القبطية المتداولة ، أقلوديوس لبيب ، ط أولى .

٥٩- المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ، دكتور أدولف جروهمان دار الكتب ١٩٣٠ .

٦٠- المحكم فى أصول الكلمات العامية ، دكتور أحمد عيسى ، ط أولى ١٩٣٩ .

٦١- مصر العربية الإسلامية للدكتور على حسنى الخربوطلى ، الأنجلو ١٩٦٣ .

٦٢- مصر فى فجر الإسلام ، دكتورة سيدة إسماعيل الكاشف ، ط دار الفكر ١٩٤٧ .

٦٣- مقدمة ابن خلدون ، طبع المطبعة الشرفية .

٦٤- مقدمة فى نحو اللغة القبطية، ابن كاتب قيصر ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية.

٦٥- مقدمة فى نحو اللغة القبطية ، ابن العسال ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .

٦٦- مقدمة فى نحو اللغة القبطية ، ابن الدهيرى ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .

٦٧- مقدمة فى نحو اللغة القطية ، السمنودى ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .

٦٨- المقدمة فى نحو اللغة القبطية ، الوجيه القليوبى ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية.

٦٩- المكافأة ، ابن الداية ، ط أولى ١٩١٤ .

٧٠- من أسرار اللغة ، دكتور إبراهيم أنيس ، الانجلو ، ط ثانية .

٧١- من أصول اللهجات العربية فى السودان ، دكتور عبدالمجيد عابدين ، ط أولى ١٩٦٦ .

٧٢- المنجد فى اللغة لكراع النمل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٠ لغة .

٧٣- النثر الفنى فى القرن الرابع ، دكتور زكى مبارك ، ط أولى ١٩٣٤ .

٧٤- النجوم الزاهرة ، ابن تغرى بردى ، ط دار الكتب .

٧٥- النحو الوافى ، عباس حسن ، ط المعارف .

٧٦- نظرات فى الصرف العربى ، دكتور كمال بشر ، حلقة البحث العلمى بكلية دار العلوم .

٧٧- الولاة والقضاة ، الكندى ، بيروت ١٩٠٨ .

ثانيا – المراجع الأجنبية

1- A History of Egypt, Lane Poole, 1925.

2- An Introductory Coptic Grammar, Prof, Plumley, 1948.

3- Arabic Linguistic Studies in Egypt, A.m. Omer, Ph. D. Cambrige.

4- Arabic Papyri, Adolf Grohmann, Cairo, 1934.

5- A Short Account of the Copts, William Worrell, U.S.A. 1945.

6- Characteristics of the Hamitic Languages, O'Leary.

7- Colloquial Arabic, De Lacy O'leary, London, 1963.

8- Common words in the Spoken Arabic of Egypt, of Greek or Coptic Origin, G. Sobhy, Cairo, 1950.

9- Conversion and the pool-Tax in Early Islam, D. C. Dennett, Combridge, 1950.

10- Coptic Sounds, William worrell, U.S.A. 1934.

11- Coptic Texts from Deir el-Bala'izah in Upper Egypt, Paul E. Kahle, Oxford, 1954.

12- Coptic Texts, William Woorrell, U.S.A. 1942.

13- Elements of the Science of Language, Irach J. Sorabji, Calcutta. 1932.

14- Encyclopaedia Americana, Coptic Language and Literature.

15- Encyclopaedia Britannica fifteenth ed., 1985, Coptic Church and Coptic Language.

16- Encyclopaedia of Islam, Kibt.

17- Fragments of an Arabic MS. in Coptic Script, (New Texts from the Monastery of Saint Macarius) , G. Sobhy .

18- From the World of Arabic Papyri, Adolf Grohmann, Cairo 1952.

19- Language, J. Vendryes, London, 1925.

20- Notes on the Alleged Coptic Morphological Influence on Egyptian Arabic, Heikki Palva, Orientalia Suecana, Uppsala, 1969 - 1970 .

21- Notes on the Coptic Language, O'Leary, Orientalia, 1934.

22- Notes on the Coptic Substratum in Egyptian Arabic, wilson Bishai, J.A.O.S., 1960 .

23- Prominece and Syllabication in Arabic, T. Mitchell, B.S.O.A.S., London, 1960 .

24- Studies in Arabic Literary Papyri, Nabia Abbott, 1957.

25- Survivals of Ancient Egyptian in Modern Dialects, G. Sobhy, Ancient Egypt, 1921.

26- The Administration of Egypt, H. Bell, Leipzig, 1928 .

27- The Alphabet, David Diringer, London, 1949.

28- The Coptic Influence on Egyptian Arabic, Dr. Wilson B. Bishai, Ph.D. thesis, Johns Hopkins University, Baltimore, 1959.

29- The Kurrah Papyri, Nabia Abbott, Chicago, 1938.

30- The Modern Pronunciation of Coptic in the Mass, J. D. Prince, J.A.O.S., 1902 .

31- The Monasteries of the Wadi'N Natrun, H. White, New York.

32- The People of Sharqiya, Abbass Ammar, Cairo, 1944.

33- The Persistence of Ancient Coptic Methods of Medical Treatment in Present-Day Egypt, G. Sobhy, Coptic Studies in Honour of W. Crum, Boston, 1950 .

34- The Saints of Egypt, O'Leary, 1937.

35- The Triumph of the Alphabet, A.C. Moorhouse, New York, 1953.